

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة 08 ماي 1945

- قسم التاريخ -

- قالمة -



## محاضرات في مقياس مصادر التاريخ الإسلامي

مطبوعة مقدمة لطلبة سنة أولى ماستر "تخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي"

من إعداد الدكتورة: سناء عطابي

السنة الدراسية 1439-1440هـ / 2018-2019م

## محاوور الماحاة<sup>1</sup>:

مقأمة

### المحاضرة 1:

أ- مآءل إلى آراسة مصادر الأارآء الإسلامآ:

1. مفهوم المصدر

2. المصادر الأولة والمصادر الأناوآة فآ آراسة الأارآء الإسلامآ

### المحاضرة 2:

ب- القرآن والسنة مصدران محورآان لآراسة الأارآء الإسلامآ

1. القرآن الكرم

---

<sup>1</sup> - آعابآ الأارسآن والمآرسآن لبعض المقامآس المآرآة حسب مواءمة عرض آكوآن ماسآر أكاءمآآ، آآصص "أارآء وآضارة المشرق الإسلامآ" لسنة 2017/2018م من آناقض بآن عنوان المقآاس ومفآراته والمناهآ المقر له، وآآ فآ طآبآة الأهآاف والمراجع والمصادر المآرآة ضمن بطاقات الآنظآم لكل سآاسآآ، من بآنآها مقآاس آراسة مصادر الأارآء الإسلامآ المقآرة لآلآة سنة أولى ماسآر، وقآ آاء فآها كالأآآ:

1. نماآآ من مآوونآ السآرة والأآبارآن.

2. رواء المؤرآآن المسلمآن، امآال: البلاآرآآ، الآعقوبآآ، الطبرآآآآآآ، الخ.

وهو مقآر ناقص إآ أن هآا الأمر مآعلق بمناهآ البآآ الأارآآآآ عند المسلمآن، كما أن آآب السآرة ومؤلآفات رواء المؤرآآن المسلمآن هآآ آزاء هام من مصادر الأارآء الإسلامآ، لكنآها لآسآ كآها، لذلك قمت باقآراح المآموة المآآورة أعلاه من مصادر الأارآء الإسلامآ وكآفآة اسآفآاة الطالآ منها.

لا فآفونآ أن آشآر إلى أن الهآاف المسطر فآ بطاقاة آنظآم المقآاس آآوافق بشكل تام مع المطلوب من المقآاس وعلى أساسها قمت بصآباغة آطووات آراسة كل نوع من أنواع المصادر، وقآ آاء فآها كالأآآ:

" آآعرف الطالآ على أهم مصادر الأارآء الإسلامآ من آآآ: أهمآآها وأسالآبها ومآآآها الأارآآآة وآآعرف على مواقف المؤرآآن المسلمآن "

2. الحاء النبو الشرف

المأرة 3-4-5-6:

ج/ - المأرة الأرففة والأوائق الرسمية

1. كآ السفر والمأزف

2. كآ الفآوآ

3. كآ الأنساب

4. كآ الآولف والمؤلفاء الإأبارفة

5. كآ الطبقات والأراأم

6. الأوائق الرسمية

المأرة 7:

د/ - المأرة المأفة (الأأار- النقوش- المسكوكاء)

المأرة 8:

ه/ - مأرة الرألة والأأراففا ومأأم البلادان

المأرة 9-10:

و/ - مأرة الفأه والأأكام

1. كآ الفآاوى والفأه العام

2. كآ الأأكام السلأانفة والسفاسة الشرعفة

3. مؤلفاء الأسبة

المأرة 11:

ز/ - المأرة الأءفة بفن الآفال ومفزان النقا الأرفف

المحاضرة 12:

ز/- مصادر العلوم العقلية

خاتمة

## مقدمة:

يفرض الاهتمام بحضارة معينة والتأريخ لأحداثها ومعرفة تطوراتها العامة على الباحث أن يطلع على مصادرها، التي تعتبر مادة أولية لبحوثه ودراساته ليتمكن من الالمام بجوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما وجب عليه أن يترصد نوعا وكما، لذلك كان الهدف من هذه المذكرة معرفة الطلبة لهذه المصادر والاطلاع على أنواعها وأساليبها وإدراك أهميتها، ومن ثمة خوض تجربة التعامل معها<sup>1</sup>.

فقد اشتهرت مقولة بين الباحثين في التاريخ وهي: "لا تاريخ بدون مصادر" إذ لا يمكن للباحث أن يكتب دون الرجوع إلى المصادر ليستقي منها المادة الأولية التي تزوده بالنصوص الكفيلة بكتابة أبحاثه، فعملية كتابة التاريخ تقوم على المصادر، وهذا الأمر جعل مهنة المؤرخ والأديب مختلفتان من حيث المادة والغاية، فالأخير مادته من الخيال وغايته المتعة، أما المؤرخ فمادته مأخوذة من المصادر وغايته الوصول إلى الحقائق، وللحصول على هذه الغاية وجب عليه التقيد بقواعد وضوابط التوثيق؛ ومهما نال الباحث من شهادة أكاديمية في حقل الدراسات التاريخية ومهما اتسعت شهرته، فإن ذلك لا يمكنه من أخذ المعلومات دون أن يوثقها في الهامش، لأن ذلك مناف لقواعد المنهج العلمي في دراسة التاريخ وكتابته، والمؤلفات التاريخية الحديثة التي لا تعتمد على التوثيق لا يعتد بها<sup>2</sup>.

ارتبط الاهتمام بالتاريخ في الأزمنة الغابرة بتسجيل وتتبع سير الأحداث السياسية على حساب الظروف والأسباب الحقيقية والخفية، التي تحتاج إلى تنقيب وبحث لفهمها ومعرفتها، ذلك أن نظرية البطل والتأريخ للحاكم غزت الفكر الإنساني ردحا طويلا من الزمن وبقيت تتحكم في أهداف الكتابة التاريخية، إلى أن ظهرت الاتجاهات الحديثة التي فرضت الاهتمام بكل الفئات وبكل الأنشطة الإنسانية

<sup>1</sup> - قمت بتوجيه الطلبة نحو مجموعة من المصادر المتنوعة على مدى 3 سنوات من تدريس المقياس في شكل أعمال موجهة، وكانت تجربة ناجحة من خلال قراءتهم لكل مصدر واستخراج المعلومات والمعطيات وتوزيعها على حسب أقسام التاريخ: السياسي والعسكري، الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي والعلمي، وهذه الطريقة مكنتهم من الوقوف على أهمية كل مصدر في الكتابة التاريخية.

<sup>2</sup> - محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر 1408هـ/1988م، ص96/ فاضل جابر، "مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها"، أهل البيت، 4، ص96.

لكتابة التاريخ وتفسير أحداثه وصياغة مفاهيمه ومصطلحاته. ولما أضحت "التطورات الاقتصادية والاجتماعية مقياساً لتقدم الشعوب ومعياراً للحضارة"<sup>1</sup> خاصة بعد النهضة الأوروبية والثورة الصناعية وما أفرزته الحرب العالمية الثانية من آثار على هذه الميادين إلى جانب الميادين العسكرية والسياسية؛ فكان لزاماً على الباحثين وهم يدرسون التاريخ الإسلامي البحث في التراث الدفين وإحياء كل المضان التي تمكننا من استكشاف مثل هذه التطورات، دون إهمال السياق التاريخي السياسي الذي جاءت فيه. إن هذا التوجه يسوقنا نحو الدراسة الموضوعية للأحداث والظواهر التي ميزت التاريخ الإسلامي في كل عصوره وأطواره، ويمكننا من الوصول إلى حقائق جديدة أو التأكيد مما ثبت سابقاً فيما تعلق بهذه البحوث أو نفي ما تم اعتقاده سلفاً، مع ترتيب وتنظيم للوقائع وتفسير للظواهر وربطها بسياقها التاريخي المحلي أو العام وحتى العالمي.

من الضروري التأكيد أن هدف الأستاذ والطالب هنا ليس البحث في تطورات الكتابة التاريخية عند المسلمين، بقدر ما هو استكشاف لأنواع المصادر التي يلجأ إليها في كتابته للتاريخ، وإعادة النظر في الكثير من القضايا التي طرحت فيه، خاصة أنها لا تقتصر على المصادر التاريخية فحسب، وإنما على كل المصادر المتنوعة والبديلة التي تسهل دراسة المجتمعات الإسلامية وجوانبها الحضارية والسياسية: فماهي أنواع المصادر التي تسهل للطالب دراسة التاريخ الإسلامي؟ وكيف يتمكن الأستاذ من دراسة كل مصدر بشكل منفرد ومفصل، حتى يتمكن تقريبها للطالب ويسهل عليه التعرف عليها وعلى أساليبها في طرح الظواهر التاريخية، وأهميتها في ميادين الكتابة التاريخية؟

قبل تناول ودراسة هذه المصادر، يلزم على الأستاذ والطالب تحديد الحقبة الزمنية التي تعتبر وعاءً لهذه المذكرة، فإذا كان التحقيب الثلاثي المعروف عند الغرب يعتبر فترة العصور الوسطى (من سقوط الامبراطورية الرومانية 476م إلى سقوط الأندلس 898هـ/1492م) فترة الظلام والتراجع الحضاري في أوروبا، فإن ما يقابلها عند المسلمين (من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم 1هـ/622م إلى

<sup>1</sup> - للتوسع ينظر: سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت: دار الرائد العربي، 1403هـ/

856هـ/1453م فتح القسطنطينية) هي أزهى العصور التي عرفتها دولة الإسلام على المستوى السياسي والحضاري وإن تخللتها الكثير من الانتكاسات التي أثرت على تطوراتها وغيّرت من مجريات الأحداث لصالحها.

إن هذه المسألة أوجبت على كثير من الباحثين والمفكرين<sup>1</sup> محاولة إعادة النظر في هذا التحقيب خاصة أنه لا يوافق عقيدة وفكر وإيديولوجيات التاريخ العربي، من خلال محاولة إعادة الاعتبار لفترة العصور الإسلامية الوسطى، وذلك بتسميتها بالعصور المشرقة<sup>2</sup> بدلا من العصور الوسطى.

إذن يمكن تحديد فترة العصور الإسلامية المشرقة - والمرتبطة بهذه المذكرة - بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم 1هـ/622م إلى غاية سقوط الدويلات الإسلامية والغالب تنتهي هذه الفترة في منطقة المشرق الإسلامي بدخول العثمانيين وضم المنطقة إلى الخلافة العثمانية نهاية القرن 10هـ ويقابله بداية القرن 16م.

إن دراسة المصادر والإحاطة بها مقياس هام للطالب يرتبط بمنهجية البحث التاريخي، وتقنيات التعامل مع المادة التاريخية وتوظيفها، وقد تكون هذه الصعوبة الكبيرة التي يتعرض لها الطالب ويسعى الأستاذ جاهدا من أجل تذليلها؛ كان هذا منطلقا أساسيا لمنهجية بناء وترتيب أفكار هذه المطبوعة، فقد عمدت إلى التعريف بكل نوع من أنواعها بعد ترتيبها حسب أهميتها وعلاقتها بالكتابة التاريخية عند المسلمين، أي أنني قمت بتقديم المصادر التاريخية نظرا لعدم إمكانية الاستغناء عنها، ثم ذكرت

<sup>1</sup> - ينظر مثلا: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ المفاهيم والأصول، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي 1997م، ص 278-283/محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط10، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2009م، ص 43-54/محمد حواش، "ملاحظات واجتهادات حول مسألة التحقيب في التاريخ العربي"، التحقيب التقليد-القطيعة-السيرورة، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (جامعة محمد الخامس) 1997م، ص 101-123/عبد المجيد الصغير، "ثقافة الغرب الإسلامي بين إشكاليات التحقيب والخصوصية والقطيعة"، التحقيب، المرجع نفسه، ص 125-141/محمد المازوني، من قضايا البحث التاريخي مقدمات أولية، كراسة جامعية، ص 70-77.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد حواش، المرجع السابق، ص 105.

المصادر البديلة والمتنوعة المنفصلة عن علم التاريخ لكن مرتبطة بالظواهر التاريخية ومتضمنة لمعطيات يمكن توظيفها ضمن السياق التاريخي مثل كتب الرحلة والفقهاء والأدب وغيرها.

عمدت إلى التعريف بكل مصدر وأهميته في الكتابة التاريخية في كل ميدان من ميادينها، مثل: الأحداث السياسية، والنشاطات الاقتصادية والظواهر التي ترتبط المجتمع وتحدث فيه، مع رصد - في كل نهاية عنصر - العوائق المنهجية التي قد تعترض الطالب أو الدارس عموماً عند تعامله معها.

يبقى الهدف الرئيسي من هذه المذكرة اطلاع الطالب على أنواع المصادر وتغيير نظرتهم الكلاسيكية لمصادر الحوليات والإسطوغرافيا كنماذج وحيدة لكتابة التاريخ، وتمكينه من التعرف عليها عن قرب مع محور عقدة العزوف عن التعامل معها، والتي يصطنعها الطلبة من خلال الاكتفاء بالمراجع وبالمعلومة الجاهزة التي توفرها لهم<sup>1</sup>، دون أن يعمدوا إلى فهم النص المصدري ومحاولة قراءته وتعلم استنتاج المعلومة بدل نقلها دون تمحيصها.

كما أن الهدف المنهجي الذي حاولت أن أرسخه في ذهن الطالب أن ما كتب بإمكانه أن ينقد وتعاد صياغته، ويمكننا التخلي عن العواطف والتمجيد لإعادة غريزة التاريخ الإسلامي وكتابته واكتشاف مصادر ونصوص جديدة تمكننا من دراسته بموضوعية إيجابية.

<sup>1</sup> - تقول ماري لين رامبول: "...فالمصادر توفر نوافذ على الماضي، تسمح لك أن تطور تفسيرك الخاص للأحداث، بدلاً من أن تعتمد على تفسير مؤرخ آخر..." ينظر: دليل الكتابة التاريخية، ترجمة تركي بن فهد آل سعود ومحمد بن عبد الله الفريح، الرياض: دار الملك عبد العزيز 1434هـ، ص 26.



أ- مدخل إلى دراسة مصادر التاريخ الإسلامي:

1- مفهوم المصدر:

- لغة:

يقول ابن منظور: " المصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله... صدر الأمر أوله، وصدر كل شيء أوله... المصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها مصادر الأفعال"<sup>1</sup>.

للمفهوم اللغوي دلالة واضحة في الإشارة إلى المصدر هو أصل الأشياء، وهو أمر يتوافق بشكل كبير مع الهدف من التعامل مع المصدر والرجوع إليه، وهو أن يأخذ الباحث أو المؤرخ الخبر التاريخي من أصله ومنبعه.

- اصطلاحاً:

اختلف المصنفون في تحديد مفهوم واحد للمصدر، فكان كل تعريف يبنى من وجهة نظر المؤلف وتجربته الخاصة في البحث والتعامل مع المصادر، ومنه نذكر مجموعة من المفاهيم:

- "هو كل كتاب تناول موضوعاً لأول مرة وعالجه على وجه الشمول والتعمق، بحيث أصبح أصل لا يمكن لأي باحث بعده الاستغناء عنه ومن أمثلة المصادر: تاريخ الطبري... وسيرة ابن هشام..."<sup>2</sup>

- هي أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما"، وبعبارة أخرى: هي الوثائق، والدراسات الأولى، منقولة بالرواية، أو مكتوبة بيد مؤلفين ثقات، أسهموا في تطور العلم، أو تحرير مسأله، وتنقيح موضوعاته، أو عاشوا الأحداث، والوقائع، أو كانوا طرفاً مباشراً فيها، أو كانوا هم الوساطة الرئيسة لنقل العلوم، والمعارف السابقة للأجيال اللاحقة. صاحب كل فكرة جديدة يعد مصدراً في مجالها، كذلك يعد في هذا القسم أيضاً سجلات الدواوين الحكومية، وما ينشره الكتاب بأقلامهم في الدوريات

<sup>1</sup> - لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف (دت)، ج27، ص 2411-2413.

<sup>2</sup> - يوسف بن عبد الرحمان المرعشلي، مصادر الدراسات الإسلامية ونظام المكتبات والمعلومات، (الجزء الأول: الكتاب والسنة)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1426هـ/2006م، ج1، ص 7.

العلمية، والصحف، والمجلات، والآثار، والدساتير، والقوانين، والأفلام المصورة لمشاهد من الواقع، والتسجيلات الصوتية<sup>1</sup>.

- "إن المصادر مواد مقدمة من أناس وجماعات منخرطين مباشرة في الحدث أو الموضوع محل الدراسة، إما مشاركين وإما شهودا. توفر المصادر الدليل الذي يعتمد عليه المؤرخون ليصفوا الماضي ويفسروه. بعض تلك المصادر وثائق مكتوبة، مثل: الرسائل واليوميات، ومقالات الصحف والمجلات، والخطب والمذكرات، والاتفاقيات الدولية والاحصاءات الرسمية، وشهادات الزواج والميلاد والوفاة. إضافة إلى ذلك يتفحص المؤرخون غالبا المصادر غير المكتوبة مثل: الأعمال الفنية والتسجيلات، والملابس والأدوات المنزلية الأثرية، والمعدات القديمة، والآثار المبنية"<sup>2</sup>

- يصف بعض الباحثين كل المصادر على أنها وثائق، ويعرفونها على أنها: "أثر الواقعة على شاهدها"<sup>3</sup>.

نلاحظ من خلال ما ورد في هذه التعاريف أنها تتفق على أن المصادر ما ارتبطت بالحادثة مباشرة، فهي كل أثر وشاهد على حدث معين مهما كان نوعه وزمنه، أي أن المصدر لا يتعلق بكل ما كتب من أجل التاريخ وإنما كل ما دون أو خلفه الإنسان وشهد على أحداث وظواهر ووقائع عصره.

إن المؤرخ أو الدارس للتاريخ لن يجد الوقائع أو الحوادث ماثلة أمامه أو قريبة منه، وإنما عليه حينئذ أن يتجه إلى "دراسة وفحص مخلفات الإنسان وآثاره، من كتابات ونقوش ومصنوعات ومنشآت. وآثار الإنسان كلها تحمل بين طياتها أسرار الحوادث وخفايا التاريخ. وهي تظل دائما صامتة لا تبوح بأسرارها،

<sup>1</sup> <https://sites.google.com/site/mnahjal/Home/mydyw/aldrs-alsads/aqsam-alsadr> (mise a jour le: 15/10/2017, 15:25).

<sup>2</sup> - ماري لين رامبول، دليل الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 26.

<sup>3</sup> - محمد المازوني، من قضايا البحث التاريخي، مرجع سابق، ص 8.

إلى أن يتمكن المؤرخ بالدراسة الطويلة وبالتأمل العميق أن يحملها على النطق، وعلى التعبير عن أسرارها وخفائها"<sup>1</sup>.

قسمت المصادر إلى نوعين في الغالب، على حسب اعتبارات متعددة:

- اعتبار الزمن: اعتبر بعض الدارسين أن المصادر أولية وثانوية حسب قربها الزمني<sup>2</sup> من الحادثة أو الظاهرة موضوع الدراسة، "فقيمة أي تأريخ إسلامي كمصدر تاريخي يقررها قدمه، وقربه من الحوادث التي يصفها، أو استخدامه لكتب قديمة مفقودة، أو قريبة من المعاصرة"<sup>3</sup>؛ من هذا المنطلق حدد أحد الباحثين مفهوم المصادر الأولية في شاهد مهما كان نوعه شخصا أم أشياء، والمصادر الثانوية في كل من نقل عن شاهد العيان<sup>4</sup>، وقد اعتبر الوثيقة كل ما حوى معلومات أولية رئيسية عن الموضوع سواء ارتبطت السجلات الرسمية أو بالشهادات الشفوية أو بالآثار المادية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط8، القاهرة: دار المعارف 2000م، ص 21.

<sup>2</sup> - " فكتابات الواقدي (207هـ/822م) عن الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الأموي تعد مصدرا أوليا، أما ما كتبه ابن الجوزي (597هـ/1200م) عن الموضوع ذاته في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم فلا يمكن أن يكون كذلك، إلا في حالة كونه -أي المؤرخ المتأخر زمانيا عن الأحداث المراد البحث فيها- قد اطلع على كتب فقدت ولم تعد في حيز الوجود حاليا، ونقل منها وجاء بروايات مختلفة لما جاء به الواقدي، فعند ذلك يمكن الاعتماد عليها وعددها مصدرا أوليا" ينظر: فاضل جابر، "مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها"، أهل البيت، 4، ص 97.

<sup>3</sup> - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح محمد العلي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ/1983م، ص 14.

<sup>4</sup> - مناقشة فكرة المصادر الأولية ينظر: لويس جوتشك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكم، بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر 1966م، ص 69.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 72-76.

- اعتبار النوع: وتنقسم إلى مصادر مادية ومصادر أدبية، "المادية تعرف عادة بالحواس، ووثائق طبيعية نفسانية العواطف والأفكار والدوافع، وأحيانا الخلفيات الذاتية أو الإيجابية..."<sup>1</sup>.
  - اعتبار الشكل الذي يؤكد على أن هناك نوعين من المصادر التي تتصف بالأصالة في كتابة التاريخ الإسلامي: أولا الأوراق الحكومية والوثائق الرسمية وهي قليلة جدل في التاريخ الإسلامي، واعتبرت نقطة ضعف المؤرخ بالنسبة للمؤرخ في هذا العصر، ثانيا مصادر من الدرجة الثانية تتعلق بروايات المؤرخين المعاصرين للحوادث في تلك الفترة وهي كثيرة ومتوفرة مقارنة بالأولى<sup>2</sup>.
- على العموم يمكن القول أن تصنيف المصادر التاريخية الأساسية مرتبط بطبيعة الموضوع وإطاره الزماني والمكاني، فما كتب لصالح الفتوحات بمصر ليس بالضرورة نصا مصدريا للفتوحات ببلاد السند والهند، ذلك لاختلاف الموضوعين في البعد المكاني وغيرها من الأمثلة التي تبين أن التصنيف متعلق بالموضوع في حد ذاته.

أما من حيث الشكل، فإن المصادر المادية ذات تصنيف أساسي أولي إذا كان الموضوع يتحدث عن الإنتاج المادي لمنطقة من مناطق الحضارة الإسلامية، وتبقى قابلة للشك والنقد خاصة إذا تعرضت لعوامل بشرية أو طبيعية، لكنها تأخذ بعين الاعتبار إذا تعارضت معطياتها التاريخية مع المصادر الروائية، لمصادقيتها وبعدها عن التزييف والتحريف المباشر، فهي لم تصنع لحفظ المادة التاريخية وإنما لغاية آنية.

1 - محمد المازوني، من قضايا البحث التاريخي، مرجع سابق، ص10/ يضيف المؤلف: "يمكن النظر في الوثائق على درجتين من التمييز في الأثر: وثائق تترك وقعا ماديا في الماضي وتبقى شهادتها عليه ظاهرة من خلال آثارها، ومنها بالخصوص الرسوم الصخرية والنقوش والمخلفات العمرانية، وهذه الآثار أبسط في التحليل والاستنتاج ومعرفة الماضي بصورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة. ووثائق هي في الأغلب حمالة أثر نفسي، وتمثل في وصف المعارك وتدوين سير الملوك والأمراء وإنتاج روايات تاريخية، وهي أكثر تعقيدا نظرا لطابعها الذاتي المستخلص من دوافع التدوين لدى واضعيها فهي ليس واقعة في حد ذاتها بل أثرا للواقعة على عقل شاهدها أو الموكول إليه تسجيلها...وهنا تصبح عملية التحليل معقدة بسبب الطابع الذاتي للعملية"، ينظر: المرجع نفسه، ص11.

2 - نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية ومنهج البحث، القاهرة: دار المعرفة الجامعية 2005م، ص 31.

من خلال ما تقدم واعتمادا على تجربتي في البحث قسمت مصادر التاريخ الإسلامي إلى ثلاثة أنواع:

- مصادر تاريخية كتبت لوصف الأحداث التاريخية المعاصرة أو السابقة لعصر المؤرخ والمنقولة من مصادر أولية في الغالب.
- مصادر مادية تعتبر شاهدا حيا على العصر الذي أنشئت فيه.
- مصادر بديلة يلجأ إليها المؤرخ لفك الكثير من الإشكاليات والقضايا التي قد تغفلها أو تسكت عنها المصادر التاريخية، مثل: كتب الرحلة والجغرافية، كتب الأحكام السلطانية، مؤلفات الأدب...

## ب/ - القرآن والسنة مصدران محوريان لدراسة التاريخ الإسلامي

### 1- القرآن:

يعتبر مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ الإسلامي عموما، ويمكن للباحث في هذا التخصص الاستفادة منه بشكل مباشر وبآخر غير مباشر.

يتمثل الشكل المباشر في الأحداث التي ذكرت في القرآن، وتعلق بحياة العرب قبيل الدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى مختلف المعلومات التي تتعلق بالدولة التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم، وما سبقها من أحداث الدعوة والهجرة، بالإضافة إلى الصراع مع القبائل العربية، وفتح مكة وغزواته وترتيبات دولته ومختلف التنظيمات السياسية والإدارية التي وضعها، دون أن ننسى ما أقره من نظم اجتماعي كان موجودا وما غيره انطلاقا من تعاليم الدين الجديد وغيرها من الأحداث التي ذكرت جملة أو تفصيلا ولا يمكن للباحث الاستغناء عنها نظرا لمصداقيتها وأهميتها في الإجابة عن الكثير من الإشكاليات التي تطرح حول الفترة المبكرة من ظهور الاسلام.

وفي السياق نفسه ذهب أحد الدارسين<sup>1</sup> إلى أن الآيات المدنية تعالج كل أسباب حياة الجماعة الإسلامية من دينية أو دنيوية. هذا ولما كانت الآيات القرآنية نزلت تباعا على مدار عشرين سنة إلى وفاة الرسول فإنها تعالج الأحداث التي عرفها العصر النبوي مما يترتب عليه أنه لا يمكن دراسة السيرة النبوية دون الرجوع إلى القرآن.

وهناك أيضا من أكد على أن المواضيع الهامة التي وردت في القرآن الكريم هي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أن: "ثبوته بالتواتر القطعي أمر مسلم به لا مرية فيه، وحديثه عن السيرة كثير، وعرضه منوع، ومنهجه في عرض الأحداث والوقائع يتميز بالشمول في تحليل الحدث ومعالجته، ويلاحظ الغايات والأهداف ويركز على الآثار والنتائج، وينتزع الصورة الموحية من الحدث ثم يبرزها، غير ملتزم

1 - نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية، مرجع سابق، ص34.

بتسلسل الحدث في سياقه التاريخي، لأن القرآن الكريم كتاب تربية وهداية وأحكام، لا كتاب تاريخ، فهو يهتم بالقيم والأخلاق"<sup>1</sup>.

كما سعى بعض الدارسين<sup>2</sup> للتأكيد على أهمية القرآن في الكتابة التاريخية، فعده أوثق النقول الإسلامية على الإطلاق، وهو الشاهد الثقة المطلق على حوادث السيرة النبوية وعلى حوادث البشرية منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام؛ فنزوله كان مرتبطاً ومتتابعاً مع حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومع المستجدات التي تطرأ في عصره، كما أن الكثير من الآيات مرتبطة بأسباب نزلت في شأنها وبهدف تنظيمها وتأطيرها شرعياً وسميت في علوم القرآن ب: "أسباب النزول".

من خلال ما سبق نجد أن أغلب المهتمين بالتاريخ الإسلامي لا يختلفون في أهمية نصوص القرآن لفهم أحداث السيرة وأخبار الأمم السابقة التي عاشت في فترة ما قبل البعثة.

أما الشكل غير المباشر فيتمثل في رجوع الباحث إلى مضامين الآيات وتفسيراتها لفهم التوجهات السياسية والاقتصادية التي سلكها مؤسسو الدول الإسلامية، ومواقف شعوبها عموماً، بالإضافة على سلوكيات الأفراد ونشاطاتهم التي لا يمكن فهمها دون الرجوع إليه.

فالقرآن يمكننا من فهم التاريخ ونفسر أحداثه من خلال السنن الربانية التي وردت في كتاب الله، فقد تضمن عوامل البقاء والأمن والاستقرار والبقاء، وعوامل السقوط والخوف والاندثار<sup>3</sup>. ويعتبر بعض الدارسين أن تفسير أحداث التاريخ الإسلامي يحتاج للرجوع إلى مصادر الشريعة عموماً خاصة القرآن، ذلك أن التفسير الإسلامي للتاريخ منبثق من تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، فهو لا يخرج عن

1 - مروان فياض مرعي النعيمي، "مصادر كتابة السيرة النبوية (دراسة نقدية)"، مجلة التربية والعلم، م 19، ع 5، ص 253.

2 - سامي البدري، "منهج دراسة مصادر التاريخ الإسلامي"، مجلة الفكر الإسلامي، 1421هـ/2000م، ع 23، ص 187-232.

3 - محمد أمخزون، منهج دراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة: دار السلام 1432هـ-2011م، ص 67.

إطار المعتقدات الإسلامية وعن إطار فهم سلوك المجتمع الإسلامي الول، وهو الأمر الذي يجعل ميزة خاصة لحركيته تختلف عن حركية التاريخ العالمي لأثر الوحي الإلهي فيه<sup>1</sup>.

## 2/- الحديث النبوي الشريف:

للأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية كبرى في فهم الأحداث المتعلقة بالتاريخ الإسلامي، وللباحث في هذا المجال استغلالها من أوجه متعددة:

**أولها:** أن ما جاء في أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريره، تدخل ضمن حيز القواعد التي انطلق منها الفكر السياسي والثقافي عموماً، دون أن ننسى التأسيس للحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي ووضع منطلقات للمسلمين في التأسيس لحضارتهم، هذا الأمر يجعل المؤرخ دائماً مرتبط بالرجوع إلى الأحاديث التي لها علاقة بموضوع بحثه في التاريخ الإسلامي، لفهم اتجاهات الأحداث وتفسير أسباب حدوثها بهذا الشكل.

**ثانياً:** أن الأحاديث تؤرخ بشكل مباشر لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وكل الأحداث المرتبطة بعصره ودولته، ونشأة الفكر الإسلامي وتطبيقاته في مختلف المجالات وأثر ذلك على تطور الحضارة الإسلامية عموماً.

---

<sup>1</sup> - محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص98-99/ كما يمكن مراجعة دور القرآن في تحديد رؤية لتفسير التاريخ الإسلامي وفهم الهدف من حفظه وكتابته لدى: قاسم عبده قاسم، **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، القاهرة:** عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م، ص 124-125/ وقد أبدع أحد المستشرقين حين قال: "إن مفهوم التاريخ الذي شكل جزءاً من تعاليم محمد قد دافع، كما هو الحال في مذهب وتعاليم أغسطس، على أن العملية التاريخية هي إدراك أو تحقيق للسرمدية والعالمية وتجسيد لإرادة الله... والمجتمع الإسلامي هو أمة الله، اتباع الله وشيعته، وأن قدرته على الخلق لم تتوقف إنما تظهر نفسها في جميع فعالياته" يراجع: إيرلينغ ليدوك بيترسن، **علي ومعاوية في الكتابة التاريخية المبكرة،** ترجمة عبد الجبار ناجي، قم: مطبعة الاعتماد 1429هـ/2008م، ص 50.



ثالثا: أن علم التاريخ تأثر بمنهج المسلمين في نقد الرواية والسند، واستفاد بشكل كبير من تطبيق علم الجرح والتعديل على الروايات التاريخية<sup>1</sup>.

رابعا: أن ما ورد عن طريق بخاري ومسلم صحيح أثبتته الدراسات الحديثة<sup>2</sup>، وأكدت على احتوائه على كثير من أخبار الصحابة الأوائل وفضائلهم وفتوحاتهم وأدوارهم في أحداث عصر النبوة.

خامسا: أن اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من ضوابط وأخبار وأحكام يلزم الدارسين لعدة اعتبارات منها أنها مرتبطة بالوحي، وما ارتبط به غير قابل للشك هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها مرتبطة بالسنن الكونية والقوانين التاريخية وبالنظرة الشمولية لتاريخ البشرية كله<sup>3</sup>.

وعلى عموم القول فإذا كان الحديث أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، والسنة: تطلق في الغالب على أفعاله وكل ما قرره من أفعال الصحابة. فإن هذه الأقوال والأفعال التي وصلتنا تحمل في ثناياها أحداثا عن الفترة الإسلامية الأولى نذكر منها على سبيل الشرح:

- حياة العرب قبل الإسلام وما بقي مستمرا منها بعده، مثل حديث: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فهو حديث يدل على صفة كانت موجودة لدى العرب قبل الإسلام وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بتهديتها.
- بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما تعرض له من طرف المشركين في مرحلتي الدعوة السرية والجهرية.
- الهجرة، والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة، والعلاقات مع القبائل المجاورة.

---

<sup>1</sup> - يراجع: قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، مرجع سابق، ص 129-130 / طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبيدة، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، بيروت: دار الكتب العلمية 1424هـ/2004م، ج1، ص 104.

<sup>2</sup> - محمد أمخزون، منهج دراسة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 101.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 65-67.

- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم.
- علاقات المسلمين مع غيرهم من الطوائف (اليهود، المشركين...).
- الأحكام التي أصبحت قوانيننا تنظم أوضاع المسلمين ضمن كياناتهم السياسية ومجتمعاتهم بصفة عامة.
- التحولات العامة التي حدثت في حياة العرب مع ظهور الإسلام.

قد يجد الطالب صعوبة في التعامل مع الأحاديث نظرا لقلّة خبرته في الاستفادة من معطياتها وتحويل مادتها الدينية إلى مادة تاريخية، لكن يبقى الأهم أن يقوم بمعرفتها والاطلاع على بعض ما ورد فيها، إلى أن يأتي الحين الذي يصبح قادرا على توظيفها.

كخلاصة لما تقدم نذكر أن للمصادر الشرعية أو لأصول الشرع الأهمية المحورية التي تدور عليها أسس ومبادئ الكثير من الوقائع والظواهر التاريخية، إذ أن الأفراد المرتبطين بأغلب هذه الأحداث تتحكم في سلوكياتهم وتصرفاتهم واتجاهاتهم إيديولوجية دينية بالدرجة الأولى، ومن غير الممكن أن نفهم الأحداث ونحللها بشكل صحيح ومفيد دون الاطلاع على المحركات الآلية للشعوب الإسلامية، وهي مبادئ وأحكام الشرع المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية. والأمر هنا يتعلق بفهم السنن العامة التي تسيّر حركة التاريخ الإسلامي أو التعمق في فهم الظاهرة الواحدة، وعليه يتوجب على الطالب أو الدارس لتاريخ وحضارة المشرق الإسلامي الرجوع إلى هذه الأصول للوصول إلى حقائق تاريخية ونتائج دقيقة فيما تعلق بأبحاثه في هذا المجال.



## ج/- المصادر التاريخية والوثائق الرسمية:

ونقصد بها كل المؤلفات التي أراد بها أصحابها حفظ إنجازات الذين سبقوهم وعاصروهم على وجه العبرة وتسجيل الأحداث، أو ضبط تراجم الرجال وطبقاتهم ومؤلفاتهم وعصورهم وغيرها مما يسهل للأمة معرفتهم، ويسهل للعلماء التعرف على مؤلفاتهم ورواياتهم وسندهم. على هذا الأساس فإننا سوف نتبع أهمية هذه المصادر حسب ظهورها تاريخياً.

## 1/- كتب السير والمغازي:

ارتبطت المعرفة التاريخية عند المسلمين بالسير النبوية الشريفة، وذلك بالبحث في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والرجوع إلى الأحاديث النبوية المتصلة بالبعثة والدعوة والهجرة والغزوات أو المغازي كاصطلاح عرفت به المؤلفات التي تعنى بتدوين السيرة النبوية، وقد كان موطنه الأول المدينة المنورة<sup>1</sup>؛ "ولم يختص أحد بالتأليف في المغازي قبل القرن الثاني للهجرة في مواطن أخرى غير المدينة. وذلك الارتباط بالأحاديث الذي ترك أثراً لا يمحو في أسلوب التأليف التاريخي بالاعتماد على الإسناد يفسر التغيير البالغ الذي ظهر منذ ذلك الحين في الصفات المميزة لرواية حوادث التاريخ وتمحيصها عند العرب"<sup>2</sup>

وعليه يعتبر نمط الكتابة التاريخية المرتبط بسيرة صلى الله عليه وسلم ومغازيه من أهم، بل من أول ما اهتم به المسلمون عند بداية التأسيس للفكر التاريخي في الحضارة الإسلامية، وإن ضاعت الكثير من المؤلفات<sup>3</sup> التي اهتمت بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيعتبر ابن هشام بأخذه عن سيرة ابن اسحاق

1 - طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 240.

2 - جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981م، ص 53-54.

3 - يقول الصفدي في هذا السياق: "... فأول من صنف في المغازي عمرو بن الزبير رضي الله عنهما ثم موسى بن عقبة ثم عبد الله بن وهب، ثم في السير ابن اسحاق ورواها عنهم جماعة منهم من زاد ومنهم من نقص، فمنهم زياد بن عبد الله البكائي شيخ عبد الملك بن هشام مختصر السيرة، وسلمة بن الفضل الأبرش ومحمد بن سلمة الحراني ويونس بن بكير الكوفي. وعمل أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كتاب الروض الأنف في شرح السيرة المشار إليها، ووضع عليه شيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي كتاباً سماه بلبل الروض، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد سيرة مطولة ثم دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي شيخ مسلم ثم دلائل السرقسطي، ثم دلائل الحافظ أبي نعيم في سفرين ثم دلائل النبوة للنقاش صاحب التفسير، ودلائل النبوة للطبراني..." يراجع: الصفدي صلاح

أفضل من ترك لنا مصدرا هاما يرصد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأهم الأحداث التي ارتبطت بنشأة الدولة الإسلامية الأولى<sup>1</sup>.

ويمكن معرفة أهمية هذا النوع من المصادر في كتابة التاريخ الإسلامي أنها " كانت استجابة لحاجة ثقافية/اجتماعية في المجتمع المسلم الذي أراد أفراده الوقوف على تفاصيل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله التاريخية. وتنقلنا المغازي للمرة الأولى إلى الكتابة التاريخية بالمفهوم الحديث لأنها كانت تبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وسراياه، وتجمع في الوقت نفسه أخبار الأحداث التاريخية الأولى التي واكبت قيام الأمة الإسلامية مثل الهجرة إلى الحبشة والمدينة، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحكام المعاصرين... " <sup>2</sup>.

### أهم مؤلفات السيرة والمغازي<sup>3</sup>:

- المغازي النبوية لابن شهاب الزهري (124هـ/841م): محدث اشتهر بالتوثيق أخذ عنه العديد من العلماء بعده مثل مالك بن أنس والأوزاعي، رغم علاقته ببني أمية إلا أن ذلك لم يسقط من ثقته ومرجعيته في رواية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>.

الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، بيروت: مكتبة إحياء التراث العربي 1420هـ/2000م، ص28-29.

<sup>1</sup> - للتوسع والتفصيل حول موضوع المغازي وأشهر مؤلفيها ينظر: يوسف هورفنتس، المغازي الأولى ومؤلّفوها، ترجمة حسين نصار، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1424هـ/2001م.

<sup>2</sup> - قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.

<sup>3</sup> - محمد العادل لطيف، "كتب الطبقات: نشأتها وأصنافها إلى أواخر القرن الرابع للهجرة ودورها في البحث التاريخي"، نشر ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، جامعة منوبة، تونس، 2012م، ص 131-133/ وقد أكد أحد الباحثين على أنه لم تصلنا أخبار مؤكدة على أن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبييل بن سعد كانت لهم مؤلفات بعينها حول المغازي، لكن من المؤكد أنهم جمعوا وأخرجوا مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: يوسف هورفنتس، المغازي الأولى، مرجع سابق، ص 22، 24، 38، 42.

<sup>4</sup> - ينظر: هورفنتس، المرجع نفسه، ص79-84/ محمد العادل اللطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص131.

- سيرة محمد بن اسحاق (150هـ/767م)<sup>1</sup>.
  - كتاب السير، لأبي اسحاق الفزاري (186هـ/802م).
  - مغازي الواقدي محمد بن عمر (207هـ/822م).
  - السيرة النبوية لعبد الملك ابن هشام (218هـ/833م) وهي نسخة مهذبة ومختصرة من سيرة ابن اسحاق.
  - القسم الأول من كتاب الطبقات لابن سعد (230هـ/845م).
- ومن جهة أهم، فإن دراسة مثل هذه المصادر يوقفنا على:
- القواعد الفكرية والسياسية التي تأسست عليها الحضارة الإسلامية بجميع مستوياتها، ومختلف الأسس التي وضع الفكر السياسي والاقتصادي فيما بعد؛ فكتب السيرة ذات أهمية واسعة ومباشرة للباحثين في كتابة تاريخ الفترة المبكرة من الإسلام، وتاريخ الدعوة الإسلامية عموماً.
  - أما الباحث في الفترات الموالية لهذه الفترة فيحتاجها بشكل غير مباشر وذلك لفهم التطورات التاريخية وأسبابها والظروف التي أدت إلى حدوثها، وهو ما يدرج ضمن الجذور التاريخية لكثير من القضايا التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - الترتيب الزمني للقوانين والشرائع التي حكمت الدولة الإسلامية في نشأتها الأولى، خاصة أن رواة السير والمغازي يدرجون الآيات التي نزلت مع كل حادثة ويذكرون الأحاديث في مواطنها المكانية والزمانية.
  - أخبار عن العاصمة الأولى لدولة المسلمين، والتنظيمات السياسية والإدارية التي اعتمدها الرسول صلى الله عليه وسلم في تسيير دولته.
  - روايات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الإسلامية الناشئة.
  - البدايات الأولى لنمو الفكر الثقافي ملازماً لنزول القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> - اعتبره النديم من أشهر من كتب في السير والمبتدئ والمغازي، ينظر: النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ص 105/ إيرلينغ ليدوك بيترسن، علي ومعاوية في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 65 وما بعدها.

- تمكنا مصادر المغازي من معرفة الأماكن والمسالك والمنازل والمواقع في مكة والمدينة والمناطق المجاورة لها، وتقدم لنا وصفا جغرافيا للأماكن التي اتصلت بأحداث غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه، خاصة أن منهم من يعاين هذه الأماكن ويعتمد على المشاهدة ليقدم وصفا صحيحا وحقائق مضبوطة حول رواياته، ويعتبر الواقدي نموذجا لذلك من خلال ذكر الأماكن ومواقعها وأبعادها من المنازل التي قبلها والتي بعدها<sup>1</sup>.

- تفيدنا مصادر المغازي في معرفة وتتبع إسلام الصحابة ومشاركاتهم في كل الأحداث التي ارتبطت بالسيارة مثل: الدعوة والهجرة وفتح مكة وغيرها، كما تفيدنا في تراجم الكثير منهم إذ نجد في ثنايا المؤلفات ما يفيد في تاريخ الوفيات والإنجازات التي قاموا بها، هذا من جهة ومن جهة أخرى توقفنا على إشارات هامة حول أنسابهم وأنساب القبائل والجماعات والأفراد الذين يفدون على الرسول صلى الله عليه وسلم طلبا للإسلام أو الصلح وغيرها<sup>2</sup>.

ومن جهة أخرى فإن الباحث تصادفه الكثير من العوائق المنهجية في تعامله مع مثل هذه

المصادر، منها:

- اختلاطها بالأحاديث فيصعب الفصل بينها وبين الأحداث التاريخية.
- حضور السند بشكل واسع يفرض على الطالب التدقيق والحذر قبل أخذ المعلومات حتى لا تختلط عليه مع أحداث السيرة.
- اختلاطها بالروايات والأساطير خاصة أن النفس تذهب إلى إضفاء القداسة، ونوع من القصص التي ترفع من مكانة الشخصيات العظيمة التي تقوم بكتابة سيرتها، حتى لو كان ذلك يتنافى مع العقل، مثل حكاية بحيرا الذي التقى به الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاد الشام وغيرها.

<sup>1</sup> - للاطلاع على المنازل والمسالك التي ذكرها الواقدي في مغازيه، ينظر: عبد العزيز بن سليمان بن ناصر السلومي، الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية 1425هـ/2004م، ج2، ص726-846.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج1، ص 276-279.

- اهتمامها بالشخصية الدينية للرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من التأريخ للوضع العام الذي ارتبط بنشأة دولة الإسلام الأولى.
- لم تذكر الأحداث التاريخية بشكل مباشر، بل تحتاج إلى خبرة الباحث ليقوم باستنتاجها.
- كل المعلومات والحقائق التي وصلتنا عن السيرة والمغازي عبارة عن وجهات نظر فردية تطغى عليها فكرة واتجاه الراوية، خاصة منها التي تعود إلى العصر الأموي، وهو العصر الذي ظهرت فيه الفتن والطوائف والمذاهب، ومن أمثلة ذلك: "مغازي الزهري فقد تحدث الزهري بنفسه عن سبب تدوينه المغازي والعامل الموجه لأخبارها فقال: قال لي خالد القسري - وهو والي مكة آنذاك - اكتب لي السيرة. فقلت له: إنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، فقال: لا إلا أن تراه في قعر الجحيم. فكتب الزهري مغازيه ولم يذكر عليا على الإطلاق"<sup>1</sup>.

## 2/- كتب الفتوح:

وقد أدرجناها هنا لعلاقتها الوطيدة بفكر المغازي، فإذا انتهت المغازي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حركة الفتوح جاءت في سياق التوسع الذي عرفت به دولة الإسلام في العهد الراشدي والأموي خاصة، باعتباره عصر الفتوحات والعصر الذي عرفت فيه رقعة الإسلام أوج توسعاتها وأكبر مساحاتها.

وقد أوجدت هذه الحركة الواسعة نمطا جديدا في الكتابة التاريخية لم يكن معروفا من قبل، وذلك بتكون ثلثة من الإخباريين ممن يهتمون بجمع الروايات التي تتعلق بظروف فتح البلدان وتدوينها أو على الأقل نقلها، إلى المهتمين بذلك<sup>2</sup>، خاصة أن قضايا العصر ومسائله الشائكة أصبحت تفرض اهتماما

<sup>1</sup> - صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدوينها ونقدا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام، ط2، بيروت: مركز الغدير 1429هـ/2008م، ص 57-58.

<sup>2</sup> - قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.



بهذا الميدان المعرفي، فالفقه وبناء الأحكام الشرعية لأهل الذمة والضرائب والمغارم الشرعية وغيرها يفرض معرفة دقيقة بفتح الأراضي وطرق ضمها إلى أراضي الخلافة الإسلامية<sup>1</sup>.

ويعتبر القرن 2هـ/8م الفترة التي نضجت فيها الكتابة التاريخية حول الفتوحات وذلك على يد مجموعة من الإخباريين والمؤرخين مثل: عوانة بن الحكم (147هـ/764م)، أبو مخنف الأزدي (147هـ/764م)، سيف بن عمر (180هـ/796م)، اسحاق بن بشر (206هـ/821م)، وقد دون الواقدي (207هـ/822م) كتباً في الفتوح<sup>2</sup> واشتهر بها.

ويعد كتاب: "فتوح البلدان" للبلاذري (279هـ/892م) أشهر هذه المؤلفات وأهمها، فقد اهتم بافتتاح الأقاليم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية عهده<sup>3</sup>.

وتكمن أهمية هذا النوع من المصادر في:

- معرفة الأحداث الكرونولوجية للفتوحات الإسلامية.
- تسجيل دور القبائل التي ساهمت في فتوحات البلدان والتأريخ للقادة والأبطال ممن قاموا وساهموا في ذلك، والوقوف على الإقطاعات التي منحت لهم، ومناطق استقراره والتحويلات الاجتماعية والعمرانية التي حدثت نتيجة لذلك.
- تحوي هذه المصادر - مثل فتوح البلدان للبلاذري - الكثير من العهود والمواثيق التي تعقد بين الفاتحين وأصحاب الأقاليم المفتوحة خاصة زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - صفاء حافظ عبد الفتاح، البلاذري ومنهجه في كتاب فتوح البلدان، القاهرة: (دندن) 1991م، ص 45.

<sup>2</sup> - مصطفى شاكرا، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط3، بيروت: دار العلم للملايين 1983م، ج1، ص164.

<sup>3</sup> - محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية 40-922هـ/661-1516م، بيروت: مؤسسة الرسالة 1408هـ/1988م، ص16/ نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية، مرجع سابق، ص37.

<sup>4</sup> - محمد ماهر حمادة، المرجع نفسه، ص16.

- تحديد طرق الانضمام إلى دولة الإسلام لما له من أثر مباشر على الموارد الاقتصادية مثل: الخراج والجزية والتنظيمات الإدارية والمالية مثل: الدواوين والخاتم والسكة والخط العربي والقرطيس والنقود وغيرها<sup>1</sup>، فالدولة المفتوحة صلحا والمفتوحة عنوة تختلفان في مقدار الخراج، كما أن أهل الذمة ممن احتفظوا بدينهم لهم مقدار معين من الجزية وغيرها.
  - معرفة مساحة المناطق المفتوحة.
  - تحديد الغنائم وكيفية توزيعها وبالتالي الوقوف على موارد بيت المال.
  - الوقوف على الخيرات الطبيعية والموارد البشرية، للمناطق التابعة لدولة الإسلام.
  - معرفة العادات والنظم الاجتماعية السائدة في البلدان المفتوحة والتغيرات الحادثة مع دخول الإسلام وانتشاره على المستوى الديني والثقافي والعمراني<sup>2</sup>.
  - الوقوف على آليات وطرق انتشار الإسلام في العالم خاصة خلال العصر الوسيط.
  - ومن الناحية السياسية قد تفيدنا كتب الفتوح في تحديد علاقة السلطة بالأطراف المفتوحة والاستراتيجيات العسكرية لضمان ولائها وارتباطها بالخلافة الإسلامية<sup>3</sup>.
- أما عن **العوائق** التي تعترض المؤرخ فتتلخص في أن هذا النوع من الكتب تختلط في المادة التاريخية بالمادة الاقتصادية المرتبطة بإحصائيات الأراضي ومقادير الخراج وغيرها وهو ما يخدم البحوث الاقتصادية دون البحوث التي تبحث في المجال السياسي والعسكري، ومن ناحية أخرى فإنها تحمل التفاصيل المتعلقة بالفتوحات بدقة وكل ما تعلق بالجيش وانتصاراته وهزائمه وغيرها مما يحتاجه المؤرخ في رصد أحداث

<sup>1</sup> - نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر 1417هـ/1996م، ج1، ص ص.

<sup>2</sup> - نقلا عن مقدمة تحقيق: المصدر نفسه.

<sup>3</sup> - نقلا عن مقدمة المصدر نفسه.

الفتوحات خاصة أن هذا النوع من الكتابات التاريخية كثيرا ما تتسلل إليه الأساطير والقصص الخيالية التي ترفع من شأن الفاتحين أو من شأن الأراضي المفتوحة<sup>1</sup>.

### 3/- كتب الأنساب:

يعتبر علم الأنساب فرعا مهما من فروع الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين، ذلك أن العرب اهتمت بأنسابها منذ العهد الجاهلي، وأخذ منحى هاما بعد اعتلاء الارستقراطية العربية السلطة<sup>2</sup>، أو استفادتها من امتيازات ومناصب إدارية في المناطق المفتوحة بالإضافة إلى مشاركتها في الأحداث الهامة وبالتالي ضرورة أخذ حصتها من الغنائم والأعطيات<sup>3</sup> وغيرها ما يستوجب ضبط مسألة النسب لتضبط معها الكثير من المسائل الإدارية والمالية، كما أن مسألة العصبية والشعوبية وادّعاء النسب الشريف وغيرها من الأمور كانت حافزا هاما للاهتمام بهذا النوع من التأليف.

ذكرت مصادر التراجم على غرار كتاب الفهرست العديد من الإخباريين والنسابة الذين اشتهروا بمعرفتهم وتضلّعهم في هذا العلم مثل: دغفل النسابة، النسابة البكري، ولسان الحمرة، صحار العبدى والشرقي بن القطامي، صالح الحنفي وابن الكوا وأبو النصر محمد بن السائب الذي يتقدم الناس بالعلم بالأنساب (ت146هـ/763م)، والقرقي (ت155هـ/771م)، عوانة بن الحكم<sup>4</sup>، كما أشار لبعض المؤلفات في هذا النوع من المعرفة التاريخية مثل: كتاب أخبار تميم وكتاب النسب الكبير لأبي يقضان

1 - يقول قاسم عبده قاسم في هذا الشأن: "فإن كتب الفتوح تحمل مشكلات كثيرة حول التواريخ والأحداث والأشخاص المشاركين فيها تحير الباحثين إلى اليوم"، تطور منهج البحث، مرجع سابق، ص 130.

2 - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت: دار الكتب العلمية (دت)، ص 144-145.

3 - رتب الخليفة عمر بن الخطاب بطون قريش حسب قربها من الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ بالعباس، ثم بني هاشم، ثم من بعدهم طبقة بعد طبقة مراعيًا الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد، ينظر: مصطفى شاكر، التاريخ العربي، ص 189-190/ إسماعيل سامعي، علم التاريخ عند العرب والمسلمين دراسة في المنهاج والمصادر، قسنطينة: المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية (5) 2013-2014م، ص 148.

4 - الندم، الفهرست، ص 101-103، 107، 108/ مصطفى شاكر، التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 190-197.

النسابة، وكتاب النسب لسعيد بن الحكم بن أبي مريم<sup>1</sup>، وقد أشاد النديم بهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت206هـ/821م) ونعته بعالم الأنساب، له العديد من الكتب في البيوتات والمآثر وهي كلها كتب أنساب وله اهتمام بنسب قريش وبطونها خاصة أهمها كتاب النسب الكبير<sup>2</sup>، ويليه الهيثم بن عدي وهو من أصحاب هشام بن السائب الكلبي له بالأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب<sup>3</sup> وذكر غيرهم كثير.

مؤلفات في الأنساب<sup>4</sup>:

- جمهرة أنساب العرب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (206هـ/821م)
- "مختلف أسماء القبائل ومؤلفها" لمحمد بن حبيب البغدادي (245هـ/859م)
- "أنساب الأشراف" لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (279هـ/892م)
- "مشته النسبة" لعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري (409هـ/1013م)
- "الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط" لمحمد بن طاهر المقدسي (507هـ/1113م)
- "اقتباس الأنوار" لأبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله الرشاطي (542هـ/1147م)
- "الأنساب" لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (562هـ/1166م)
- "اللباب" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (630هـ/1232م)
- "الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب" لقطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضي  
الدمشقي الشافعي (894هـ/1488م)

لها النوع من المصادر أهمية واسعة من كل الجوانب التاريخية التي يبحث فيها الطلبة والباحثون، منها:

1 - النديم، الفهرست، ص107.

2 - المصدر نفسه، ص108-109.

3 - المصدر نفسه، ص112.

4 - نقلا من مقدمة تحقيق الكتاب: السمعاني، الأنساب، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (دب): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (دت)، ص3-7.

- أعان النسابون الدراسات التاريخية بما قدموا من معلومات عن أصحابها، خاصة أنهم توسعوا في معلوماتهم بسبب انتشار التيار الشعوبي، فكان هذا الأمر دافعا للتوسع في طبقات القبائل وأشرفها، فأصبحت معلوماتهم توازي ما قدمته لنا كتب الطبقات والسير التي اشتهرت في المدينة<sup>1</sup>.

- من الناحية السياسية نجد لهذه المصادر أهمية واسعة في الاطلاع على أنساب القبائل والأسر الحاكمة<sup>2</sup>، وإثبات صحة نسبها إذا ادعت نسبا شكك فيه بعض المؤرخين، كما تقدم لنا المصادر التي تتحدث عن أنساب الأشراف مفهوما للشرف ومراتبه في المشرق واستغلاله في المناصب والعطاء والغنائم، وطرق اكتسابه بالولاء والثروة وغيرها<sup>3</sup>.

- وفي المجال السياسي أيضا تفيدنا هذه المصادر في معرفة دور الجماعات<sup>4</sup> والقبائل في صياغة الأحداث العامة والخطيرة في عصورها، والوقوف على دقة التفاصيل وأسماء الأفراد ودورهم السياسي والعسكري، بدلا من أن نأخذ المعلومات بعمومها من مصادر الحوليات التي تركز على دور الحاكم في صنع الحدث التاريخي.

- أما من الناحية المنهجية والعلمية فهذه الكتب اعتمدت طريقة الإسناد التي ساهمت بشكل كبير في معرفة مصادر المؤرخ، ومدى مصداقية معلوماته هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعطينا هذه المصادر فكرة عن المؤرخين والإخباريين والرواة السابقين لصاحب الكتاب، وأحيانا عناوين لمصادر قد تكون مفقودة أو تساهم في نسبة بعض المؤلفات المجهولة لأصحابها<sup>5</sup>.

1 - مصطفى شاكر، التاريخ العربي، مرجع سابق، ص173.

2 - نقلا عن مقدمة تحقيق: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص ض.

3 - أفرد البلاذري جزءا كاملا لأخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام، ينظر: أنساب الأشراف، ج3/ نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جمهرة أنساب العرب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب، دار النهضة العربية 1407هـ/1986م، ص10.

4 - نقلا عن مقدمة تحقيق: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص ض.

5 - ينظر مثلا: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، في أغلب صفحات الكتاب/ راضي دغفوس، "مصادر البلاذري في كتاب أنساب الأشراف: بعض النماذج من الإخباريين"، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، أشغال الملتقى الدولي السادس (28-30/04/2010م)، تونس 2011م، ص 13-34.

- إن المطلع على كتب الأنساب يدرك القيمة الاجتماعية لهذه المصادر من خلال معرفة التركيبة القبلية لمجتمعات العرب والمسلمين قبل وبعد الإسلام ومواطن نزولها وسكناها، بالإضافة إلى المكانة والشرف والمستوى المادي، كما تمكننا من إثراء علم الأسماء (طوبونيما) بمعلومات ومعطيات حول أسماء القبائل والأفراد رجالاً ونساءً والبطون والأماكن<sup>1</sup>. وكثيراً ما نجد في مثل هذه المصادر حكايات وقصص<sup>2</sup> في ثنايا التعريف بالقبائل تمكننا من الوقوف على بعض العادات والتقاليد، والحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية عموماً.

#### 4/- كتب الحوليات والمؤلفات الإخبارية

تنوعت الكتابة التاريخية عند المسلمين، وأخذت أشكالاً متعددة ساعدت الباحثين والدارسين وعموم الطلبة على معرفة أحداث التاريخ الإسلامي، ومكنتهم من كتابة دراسات عن جوانبه من خلال المادة الخبرية التي تضمنتها.

قبل التحدث عن أهمية هذه المؤلفات وكيفية الاعتماد عليها، من الضروري الوقوف على أشكالها:

**الحوليات:** لغة الحول سنة بأسرها والجمع أحوال وحوول وحوؤل<sup>3</sup>، ومن هذا المنطلق اللغوي فإن كتب الحوليات تعنى بتسجيل أحداث التاريخ الإسلامي على حساب السنين، أي أن كل سنة تسجل فيها أحداثها ثم تليها السنة الأخرى فيقال: ودخلت سنة كذا...

وأصبح بذلك "علم التاريخ الحولي شكلاً تخصيصياً من علم تاريخ السنين، وهو كما يدل اسمه يخضع لتعاقب السنين المفردة، فكانت مختلف الحوادث تعدد في كل سنة مثل: في سنة كذا، أو: ثم جاء في سنة كذا أما الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها فكانت في الغالب تبين بطريقة سهلة وهي إضافة هذه الجملة: وفيها (أي في السنة نفسها)"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر مثلاً: هشام بن محمد بن السائب الكلي، جمهرة أنساب العرب، ص246/ البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص39.

<sup>2</sup> - ينظر: البلاذري، المصدر نفسه، ج1، ص54-56/ هشام بن محمد بن السائب الكلي، المصدر نفسه، ص135.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص1054.

<sup>4</sup> - فرائز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص101-102.

ورغم ما يقال إن المنهج الحولي عرف في الحضارات السابقة<sup>1</sup> إلا أن المسلمين اتبعوه انطلاقاً من التراكمات المعرفية التي جمعت في القرنين الأول والثاني، كما أن السجلات والدواوين كانت تحفظ عن طريق السنوات المؤرخة اعتماداً على التقويم الهجري الذي اتبع منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تتبع الطريقة نفسها فليس من الغريب أن نجد هذه الفكرة تحمرت وأثمرت في الفكر التاريخي الإسلامي، وأصبحت نموذجاً فريداً ومشتهراً عندها.

ويعتبر الطبري<sup>2</sup> (ت 310هـ/922م) رائد المنهج الحولي، لكنه لم يكن أول من اتبعه<sup>3</sup>، وإنما يعزى ذلك إلى الهيثم بن عدي (207هـ/822م) والواقدي (207هـ/822م) وخليفة بن خياط (240هـ/854م)؛ فهم أول من كتب "التاريخ على السنين"، وقد تطور هذا المنهج بعد الطبري على يد ابن الجوزي وابن الأثير<sup>4</sup> بجمع أحداث الموضوع الواحد وترتيبها على السنين، بدل ما تبقى كل الحوادث موزعة على السنة الواحدة.

ومن الضروري التنبيه إلى أن نموذج الحوليات لم يكن الوحيد بل أن هناك الكثير من الكتب والمدونات التي حفظت لنا الأحداث التاريخية على شكل الموضوعات.

1 - يرى كل من كلود كاين وجون سوفاجي أنه من المؤكد أن العرب تأثروا بالفرس في اعتماد المنهج الحولي على الرغم من غياب الأثر الذي يثبت ذلك، ينظر: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1998م، ص 57.

2 - أعتبر الطبري نموذجاً هاماً لنضج المعرفة التاريخية في الحضارة الإسلامية من خلال استفادته من تجارب سابقه وإكماله لأعمالهم ومجهوداتهم في التدوين التاريخي على غرار اليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، كما أنه مهد الطريق والمنهج السليم لمن جاء بعده مثل المسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون...، نقلاً عن مقدمة التحقيق: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف (دت)، ج1، ص 21.

3 - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص 102.

4 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، بيروت: دار القلم، ص127/ فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص100.

- **الموضوعات:** وذلك بجمع الأحداث المترابطة وتصنيفها في عنصر واحد تجمع بينه عناصر الحكمة والقصة، أي أن التسلسل هو السمة البارزة ضمن عناصر هذه الكتب، وهي الأفضل من حيث التعبير عن الظاهرة التاريخية بشكل متواصل دون تشتيتها على عدد السنين.

يلتزم المؤرخ في الغالب طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام، أي تبعاً لتعاقب السلالات والأسر الحاكمة، ومن المؤرخين الذين اعتمدوا هذه الطريقة: أبو حنيفة الدينوري في كتابه "الأخبار الطوال"، واليعقوبي في كتابه "التاريخ"، وأبو شامة في كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين"، وابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، وابن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وذلك للتأريخ للدول، بينما اعتمد آخرون طريقة التأريخ للخلفاء مثل: الصولي في كتابه "أخبار الراضي والمتقي بالله" وقد تمت الإشارة إلى هذا النوع ضمن عنصر السير والتراجم<sup>1</sup>.

اعتمد الباحثون والدارسون تقسيماً آخر لطرق التدوين التاريخي عند المسلمين، بحيث هناك نوعين من المؤلفات<sup>2</sup>:

- **كتب التاريخ العام:** وهي كتب تركز على النشاط السياسي للعرب والمسلمين على اعتبار المركزية والعالمية في كتابة التاريخ الإسلامي، بالتركيز على الخلافة الأم والدويلات التي عاصرتها، بشكل حولي أو موضوعي، مثل الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك، وابن خلدون في كتابه العبر.

- **كتب التاريخ المحلي:** ظهر هذا النوع من التأليف حسب الظروف السياسية والثقافية التي ولدتها الحركة الاستقلالية للشعوب المستوطنة على أطراف الدولة الإسلامية خاصة في العصر العباسي وما صاحبها من انتماء قومي محلي وسياسي لدويلاتها وبقاء ولائها الروحي والديني للمركز. وقد كان للتنافس

1 - ينظر: محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 141-142.

2 - للمرجعة ينظر: محمد عبد الكريم الوائلي، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، ط3، بنغازي: منشورات قان يونس 2008م، ص 291/ صائب عبد الحميد، علم التاريخ، ص 151-154/ عبد الرحمن الحسين العزاوي، التاريخ والمؤرخون في العراق 334-447هـ/945-1055م، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1993م، ص 131-245.



الحضاري دور في بروز المؤرخين المهتمين بالتأليف حول عصورهم وحوادثهم والدويلات أو الخلفاء الذين عاصروهم. وقد اشتهرت العديد من المؤلفات مثل: فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.

تعتبر كتب الحوليات والسياسة<sup>1</sup> والإسطوغرافيا عموماً من أكثر المدونات التي تزخر بها المكتبات والخزائن العربية وغير العربية<sup>2</sup>، فقد تركت لنا الحضارة الإسلامية خلال العصور الزاهرة زخماً هائلاً من المصادر التي عنت بحفظ تراث دولهم وعصورهم وحتى الأماكن الجغرافية التي لم يعرفونها، لكن شعورهم بالانتماء إلى هذه الوحدة الجغرافية والسياسية والدينية جعلهم يحفظون لنا تاريخ غيرهم من الدول والعصور التي تربطهم بهم علاقة روحية ومادية.

إن أهمية هذه المصادر تزداد كلما كان صاحبها شاهداً على الحدث ومدوناً لتقارير عايشها، وتفاعل مع تفاصيلها وتقل أهميتها كلما كان المؤلف مجرد ناقل، وعلى العموم فإن الباحث في التاريخ الإسلامي بحاجة إلى هذه المؤلفات لأنها:

- ترصد للطالب والباحث عموماً الأحداث التاريخية السياسية بدقة، وبشكل متصل قليلاً ما ينقطع، وبإمكان الطالب رسم صورة متسلسلة نوعاً ما عن الأحداث التاريخية التي يبحث فيها.

---

1 - إن كانت السياسة تعني رعاية مصالح الناس وفقاً لما يقتضي الشرع وما تقتضي أحوال الناس من أحكام وأفعال تجري في ذلك المجرى، فإن المقصود بمصادر السياسة هي المصادر والكتب التي تؤرخ للسلطان ودوره في رعاية الأمة وكل ما اتصل بها من أحكام ونظم وأحداث وإنجازات وغيرها... وكل ما يتصل بذلك من حيث تفكير المؤرخ في حفظ القصص للعب والافتداء إن اقتضى الأمر، أي أن هذا النوع من المصادر يعني بالتاريخ السياسي والعسكري بنسبة كبيرة جداً.

2 - لقد أحصى السخاوي ميادين التأليف التي أسهب فيها العرب والمسلمون على مدى العصور الإسلامية المشرقة في مجال التاريخ، وذكر 40 صنفاً من الأصناف والطبقات التي اهتمت بها أقلام المؤرخين مثل: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والفقهاء والقراء، والملوك والوزراء، والعامّة، والمجانين والعقلاء... للتوسع ينظر: شمس الدين السخاوي، محمد بن عبد الرحمان بن محمد، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت: دار الرسالة 1407هـ/1986م، ص142-143.

- تميزت مؤلفات الحوليات والمصادر الإخبارية بقوة الاعتماد على السند، فقد أشاد الباحثون بصحة الروايات والأخبار الواردة لدى الطبري حتى أنه أكد على أن ما تم الوقوف عليه إثباتاً بالسند ولم يقبله العقل، أدرجه في كتابه تاريخ الرسل والملوك لتقديم حجة السند على مضمون النص<sup>1</sup>.
- دونت لنا كتب التاريخ العام والحوليات معلومات هامة عن أخبار الصحابة ودولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وتنظيماته، وأسهمت في هذه المسائل وفصلت في أحداثها، وحفظت لنا روايات ونصوص لم تصلنا مصادرنا خاصة: تاريخ الملوك والرسل لمحمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (630هـ/1232م)، وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (748هـ/1347م) والبداية والنهاية لابن كثير (774هـ/1382م)<sup>2</sup>.
- تبرز هذه المؤلفات طبيعة الحياة السياسية: الحاكم ودوره السياسي، العسكري، والحضاري، السلطة الإدارية ونظام الحكم، طبيعة الحكم، تفاصيل السياسة، القوانين السياسية المعتمدة، حاشية السلطان...، إذ أن الأهم بالنسبة لأصحابها التفصيل في حياة السلطان وإنجازاته.
- تهتم هذه المؤلفات قبل التطرق إلى شخصية الحاكم أو السلطان وإنجازاته وأدواره السياسية والعسكرية، بسرد صفاته "الخلقية والمعنوية، وصفاته الجسمانية، وأحياناً قوائم بأسماء أولاده ونسائه وموظفيه، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين له"<sup>3</sup>.
- رصد نظم الحكم المتبعة، ونظام الشورى إن وجد أو الاستبداد إذا كان طاغياً في عصر معين، مع التطرق إلى رجال الحكم والإدارة من وزراء وكتاب وولاة وغيرهم.

<sup>1</sup> - عبد الحليم عويس، فلسفة التاريخ نحو تفسير إسلامي للسنن الكونية والنواميس الاجتماعية، القاهرة: دار الصحوة 1432هـ/2011م، ص99-100.

<sup>2</sup> - مروان فياض مرعي النعيمي، مصادر السيرة النبوية، مرجع سابق، ص 262.

<sup>3</sup> - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 143.

- مظاهر الاستقرار والاضطراب في الدولة (مثل العلاقة بين العاصمة وباقي الولايات، ثورات الخارجين عن الدولة، مظاهر الولاء والعداء...).
- الاهتمام بالجانب العسكري: الحروب - المعارك - الأسلحة - عدد القتلى - الفتن - الحصون - القلاع.
- التأريخ للعلاقات فيما بين الدول المعاصرة لها سواءً كانت سلمية دبلوماسية أم عسكرية حربية، مثل إشارات إلى علاقات الخلفتين الأموية والعباسية مع الدولة البيزنطية.
- إبراز دور السلطة في تأسيس المدن وتشبيد العمران دون التفصيل فيه، وفي طرق بنائه والمسؤولين عن ذلك.
- توفير معلومات حول علاقة السلطة بالعلماء وأصحاب المذاهب.
- تقديم معلومات عرضية حول القبائل واسماؤها والتكوين الاجتماعي في بعض الدول مثل: الموالي والعرب...

على أنه تواجه الطالب بعض الصعوبات والعوائق المنهجية أثناء الاستفادة من هذه المصادر منها:

- اعتماد الرواية وتقسيم الحادثة على السنين فيصعب جمعها وأحيانا تفتقد للروابط الزمنية والتسلسل والتواصل بالنسبة للحادثة الواحدة، لذلك وجب على الباحث عموماً أو الطالب تتبع موضوعه حسب إطاره الزمني ويبحث عن المعلومات المتعلقة به في كل سنة من السنوات التي ترتبط ببحثه<sup>1</sup>، وقد انتقد ابن الأثير ذلك وحاول تجاوزه في كتابه الكامل في التاريخ<sup>2</sup>.
- تعظيم بعض الأحداث والإنجازات وإضمار أخرى حسبما يخدم سيرة السلطان، وهذا ما يدفع الباحث إلى الانتباه لما يكتبه مؤرخو السلطة والمقربون من الحكام، فالكثير منهم يقع تحت

---

<sup>1</sup> - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص133/ فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص100.

<sup>2</sup> - محمد أحمد الترحيني، المرجع نفسه ص133-134.

ضغطهم<sup>1</sup> فيؤدي به ذلك إلى إخفاء حقائق أو المرور على الحدث دون التفصيل فيه، وأحيانا تعظيم دور بعض الشخصيات وطمس دور أخرى فيكون ذلك سببا لتزييف الرواية والوقوع في المغالطات التاريخية.

- إهمال التأريخ للمعارضة، إلا ما نعت منهم بالكفر والإملاق والخروج عن الملة، وما ذكر في الغالب متعلق بالمعارضة السياسية مثل: الخوارج والشيعية، لكن حركات وانتفاضات الفلاحين والحرفيين فتدخل في إطار المسكوت عنها واللامفكر فيه<sup>2</sup>.

- إهمال التأريخ للطبقات الوسطى والعامية في المجتمعات المشرقية الوسيطة.

- تغييب الأطراف الفاعلة في صنع الأحداث، والكثير من الإنجازات ونسبتها إلى الحكام والسلاطين والولاة دون إفادتنا بأسماء العلماء، والقادة والجنود، والمهندسين والبنائين، وخبراء حساب الخراج والأراضي ومسؤولو الدواوين...، وكل المعلومات التي تسمح للباحث بتكوين فكرة صحيحة ومكتملة عن الموضوع الذي يبحث فيه.

- شح المعلومات المتعلقة بالواقع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي وكل ما يذكر يأتي عرضا وفي سياق التأريخ للسلطة، دون إعطاء أهمية لهذه المجالات باعتبارها المحرك الأساسي لقوة الدولة وضعفها.

- سرد الأحداث دون تحليلها وربطها بالظروف السائدة آنذاك.

- ندرة المعلومات حول المستوى العلمي والثقافي للشعوب والحضارات ومدى رعاية السلطان للمشاريع العلمية ومبادراتها في النهضة الفكرية بالمجتمعات المشرقية إلا ما يأتي عرضا.

- يدعو كثير من الباحثين إلى ضرورة تطبيق المنهج العلمي الدقيق (التحليل، النقد، الاستقراء، العقل...) على روايات الإخباريين، ذلك أن جزءا كبيرا من الأخبار باطلة افتراها بعض الكذابين، ونقلها الرواة مع ما نقلوه دون أن يشيروا إلى بطلانها، كما أن عددا كبيرا من الأخبار

<sup>1</sup> - صائب عبد الحميد، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 57-58.

<sup>2</sup> - محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2004م، ص 7.

الصحيحة لم تسلم من تخليط الرواة وأوهامهم، بل تعرضت للتغيير والتبديل حتى انحرف الخبر عن صورته الأصلية<sup>1</sup>.

- تساهل بعض المؤرخين في رواية الأخبار باعتبارها لا ترقى إلى قيمة الحديث النبوي الشريف، ومنهم: الواقدي، وابن الكلبي، خليفة بن خياط وغيرهم ...<sup>2</sup>.
- الحذر من النصوص المتأخرة والتي كتبت بعد فترة طويلة من وقوع الحدث، فقد يكون طراً عليها التغيير بسبب النسيان أو الاختصار أو الإضافة، وهي كلها عوارض تقلل من قيمة الخبر التاريخي<sup>3</sup>.

### 5/- كتب الطبقات والتراجم

أخذ نموذج السير اهتمام المسلمين منذ العهود الإسلامية الأولى، ذلك أن التأليف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، كأهم شخصية في تاريخهم وحضارتهم جعلهم يستمرون في الاهتمام بكل من اقتفى أثره من الصحابة والتابعين والعلماء؛ بل إن الأمر تعدى إلى كل من أخذ اهتمام العرب والمسلمين خاصة الشعراء والأطباء وحتى المغنيين وغيرهم.

وقد بلغت الكتابة في هذا النوع من المؤلفات شأوها في العصور الإسلامية، حتى أنه اعتبر التدوين في نمط التراجم بأشكالها النوع الغالب على الكتابة التاريخية<sup>4</sup>، ومن هذا المنطلق تأخذ هذه المصادر أهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ومناقشة وتصحيح قضاياها الأساسية. ويظهر ذلك في ربط بعض المؤرخين فكرة التاريخ بالترجمة للأعلام الهامة في الحضارة الإسلامية.

1 - عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، المدينة المنورة: مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، 1422هـ/2001م، ص30/ محمد رشاد خليل، المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، القاهرة: دار المنار 1984م، ص8-10.

2 - عبد الله بن سالم الخلف، المرجع نفسه، ص40.

3 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، ص100.

4 - المرجع نفسه/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ط3، القاهرة: دار المعارف (دت)، ص5-6.

## 1/5- مفهوم التراجم وسيرورتها في الحضارة العربية الإسلامية:

لغة التراجم هي الطريقة، ولها نفس المدلول اللغوي للسيرة، فسيرة فلان هي طريقة حياته، وهي الحالة التي عليها الإنسان، لكن المؤرخين اعتادوا أن يسموا الترجمة بهذا الاسم حين لا تطول نفس الكاتب فيها، وإذا طالت سميت سيرة<sup>1</sup>، ويبدو أن هذه المفردة أعجمية دخيلة على اللغة العربية، استعملت في القرن 6هـ/12م عند ياقوت الحموي<sup>2</sup>.

أما اصطلاحاً: فقد عرف بعض الباحثين التراجم على أنها: " ذلك النوع من الأنواع الأدبية، التي تتناول التعريف بحياة شخص أو أكثر، تعريفًا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه، وتبعاً لثقافة المترجم ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة ودقيقة من مجموع المعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم<sup>3</sup>.

ولم يختلف الباحثون في كون التأريخ عن طريق التراجم عند المسلمين منبثق من تتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثمة الاهتمام بكل الشخصيات التي تستحق أن تحفظ سيرتها وتكتب ترجمتها للغاية الأخروية مثل العبرة، أو الغاية الدنيوية لتعرف عن طريقها علوم وفنون ومعارف يستغلها الإنسان

1 - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص28/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من القرن (5-8هـ/11-14م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2008م، ص4.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص9/ نبيلة عبد المنعم داود، "فن التراجم في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد 2011م (4)، ص28.

في حياته<sup>1</sup> لذلك وصلتنا مؤلفات خاصة بتراجم عصر واحد، أو تراجم لأرباب الصنعة الواحدة<sup>2</sup>، بينما وضع آخرون اعتبارات أخرى أدت بالمؤرخين للتأليف في هذا اللون من المعرفة التاريخية.

## 2/5- أشكال التراجم وأنواعها<sup>3</sup>:

إن الاستفادة من هذا النوع من المصادر يحتاج إلى تصنيفها وتحري أطرها المعرفية، وأهداف المؤرخين من تأليفها لوضعها في سياقها التاريخي لتوظيف نصوصها بشكل صحيح، هذا إذا انطلقنا من مبدأ أن أصحابها إنما ألفوها خدمة لأفكار متعددة فعلى الباحث هنا أن ينتبه إلى ذلك، ويعرف أنواعها.

**أول:** الأنواع التي اتفقت عليها المصادر والمراجع هي **سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم** وقد ذكرت أعلاه؛ ويبدو أن أمر السير والترجمات لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه إلى نماذج متعددة، وشخصيات مرتبطة به بسيرورة رسالته لدى الإنسانية، منها: سير الصحابة والتابعين ورواة الحديث، وهذه الفئة الأخيرة أخذت حظها الواسع من بين كتب التراجم لارتباطها الوثيق برواية الحديث ومعرفة الثقات وعدالتهم، وتمحيص سلسلة الرواة لتصنيف الأحاديث وتحديد مراتبها. قد يكون ذلك السبب الذي

1 - ينظر مثلاً: فرانز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص142/ محمد العادل لطيف، "كتب الطبقات: نشأتها وأصنافها إلى أواخر القرن الرابع للهجرة ودورها في البحث التاريخي"، نشر ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: **النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات**، جامعة منوبة، تونس، 2012م، ص 130-133/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص4.

2 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص171.

3 - لقد ذكر الصديقي مجموعة من الأصناف التي ترجم لها، وهي تعبر عن فكرة سابقه أو المجموعات التي اهتموا بتصنيف لها: "فأحببت أن أجمع تراجم الأعيان من هذه الأمة الوسط، وكَمَلَة هذه الأمة التي مد الله لها تعالى أفضل الأوقى وبسط، ونجباء الزمان وأبجاده، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل علم وأوتاده، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب، وفرسان كل معرك، لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب... فلا أغادر أحدا من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة والأدباء والكتّاب والشعراء، والأطباء والحكماء والأبباء والعقلاء، وأصحاب النحل والبدع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد وليب مفيد" ينظر: الصديقي: الوافي بالوفيات، ج1، ص27.

جعل روزنتال<sup>1</sup> يعتقد بأن استنباط هذا النموذج ضمن الكتابة التاريخية مرتبط بالظروف المحلية والتغيرات التي عرفها العالم الإسلامي وتطور حاجاته وأهدافه.

**ثانيا: كتب الطبقات:** قبل التفصيل في هذا النوع نرجع على إحدى المفاهيم التي وضعها أحد الباحثين لمصطلح الطبقات:

"يمكن أن نحصل مفهوم الطبقات بأنها كانت تحمل في الأصل مغزى الاستمرارية في صلب أجيال متتابعة غير منقطعة، تحملت مسؤولية رواية مشاهداتها انطلاقاً من تجربتها الروحية التاريخية، كي تسلمها للأجيال اللاحقة، فتصبح الطبقة هي المرتبة التي تسند إلى مجموعة من الأشخاص الذين ساهموا في التاريخ الإسلامي، بصفة أو بأخرى، في بلورة مجال من مجالات حضارية تبعا لمقاييس محددة ذات بعد ديني ولغوي أو أدبي أو فني"<sup>2</sup>.

إن كان هذا الدارس حدد هذا المفهوم، فإن هناك غيره من جعل من المفردة مبهمة من حيث المعنى اللغوي وعدم تطابقها مع المعنى الذي استخدم خلال التاريخ الإسلامي في عصوره المشرقة، واعتبر أنها استعملت للمكان بمعنى التساوي وللزمان بمعنى الجيل، وقد تفيد معنى القرن إذ قال الأزهري: "القرن أهل كل مدة كان فيها نبي، أو كان فيها طبقة من أهل العلم" والدليل الحديث الذي فضل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كل جيل يقترب من عصره على الجيل الذي يأتي بعده، "خيركم قرني" يعني أصحابي، ثم الذين يلونهم يعني التابعين، ثم الذين يلونهم يعني تابعي التابعين وهكذا<sup>3</sup>.

وعليه يمكن تحديد مفهوم الطبقة على أنها المجموعة التي تقترن في صفات معينة وتعيش في فترات متزامنة، وتتشرك في صفات علمية أو أدبية أو دينية معينة يميزها الاحتكاك والتأثير والتأثر.

---

1 - علم التاريخ، مرجع سابق، ص 142/ محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص 143.

2 - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص 145.

3 - محمد الجواد، "كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد: دراسة في الأسانيد"، الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص 58-59.



وقد استهدفت نشأة وسيرورة نموذج الطبقات خدمة علم الحديث<sup>1</sup>، فقد أطلقت الطبقة للدلالة على الرواة المتشابهين من حيث تقاربهم في السن وأخذهم عن نفس الشيوخ، خاصة أن أهمية التمييز بين طبقات الرواة يندرج ضمن نقد الأسانيد ومعرفة ما فيها من إرسال أو انقطاع أو عضل وتدليس، كما أن تشابه الاسماء عند الرواة يفصل فيه تمييز طبقتيهما<sup>2</sup>.

وإن كان هذا التعريف شاملاً، لكل الطبقات التي ساهمت في تشكيل المعارف العامة والكلية التي بنيت عليها الحضارة الإسلامية، إلا أن دقة هذا المفهوم مرتبطة بمراتب العلماء والفقهاء والمحدثين الذين أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعده<sup>3</sup>، وتعتبر طبقة الصحابة أولى الطبقات التي أخذت اهتمام العلماء لارتباطها المباشر بحياته وسيرته، وصلتها الوطيدة برواية الحديث، وتوال الاهتمام بالطبقات الموالية مثل: طبقة التابعين وطبقة تابعيهم وهكذا. وتعد "الطبقات" للواقدي أقدم كتاب في هذا النوع، وعلى منواله قلد ابن سعد أستاذه فألف كتابه "الطبقات الكبرى"<sup>4</sup>.

وقد سارت الكتابة التاريخية على ذلك المنوال من خلال البحث في عدالة الرواة وضبطهم، ومعرفة سلسلة الرواة وبلدانهم وتنقلاتهم وشيوخهم، بغية التمييز بين الأحاديث وترتيبها ومعرفة صحتها من ضعيفها، ويعتبر كتاب "التاريخ الكبير" للبخاري (256هـ/869م) من أقدم الكتب التي وصلتنا رغم أن هناك من سبقه في هذا التصنيف وضاعت مؤلفاته مثل: شعبة بن الحجاج (160هـ/776م)، ويبدو أن

1 - نما التصنيف في علم الجرح والتعديل خلال القرنين 3 و4هـ/9 و10م فبعض المصنفات اختص بالضعفاء والكذابين، وبعضها بالثقات والأثبات، ينظر: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص106.

2 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص385/ محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص142.

3 - اتبع ابن سعد التعريف بالفقهاء والمحدثين والعلماء حسب الطبقات أي أفراد جزء كامل لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم التعريف بطبقة الصحابة حسب سابقيتهم للإسلام: المهاجرين ثم الأنصار، وهؤلاء قسموا إلى طبقات طبقة ممن شهدوا بدرًا، طبقة ممن أسلموا ولم يشهدوا بدرًا... طبقات أهل المدينة من التابعين... طبقات النساء، للمراجعة والتفصيل ينظر: محمد الجواد، كتاب الطبقات الكبير، مرجع سابق، ص57/ محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص142.

4 - النديم، الفهرست، ص11-112/ مصطفى شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون، مرجع سابق، ج1، ص164، 167.

الاهتمام بالرواية انبثق منه " علم الثقات والضعفاء من رواية الحديث<sup>1</sup> وقد صنفت العديد من المؤلفات في هذا المجال منها: كتاب "معرفة الثقات" لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي (261هـ/874م)، وكتاب الثقات لابن حبان السبتي (354هـ/965م)، كتاب الضعفاء والمتروكين لأحمد بن شعيب النسائي (303هـ/915م).

من أشهر كتب الطبقات<sup>2</sup>:

- الطبقات الكبرى لابن سعد (230هـ/845م)، طبقات خليفة بن خياط (240هـ/854م)، "طبقات" مسلم بن حجاج النيسابوري (261هـ/874م)، "الطبقات في الاسماء المفردة من اسماء العلماء وأصحاب الحديث" لأبي بكر محمد بن هارون بن روح البرديجي (301هـ/913م). ولم تتضمن كتب الطبقات تراجم للمحدثين فحسب، وإنما كان للفقهاء حظ كبير في هذا النوع من المعرفة التاريخية منها: "طبقات أحمد بن حنبل" لأبي بكر الخلال البغدادي (311هـ/923م)<sup>3</sup>، و"ترتيب المدارك" للقاضي عياض (544هـ/1149م)، و"الدياج المذهب" لابن فرحون المالكي (799هـ/1396م)، وغيرها كثير.

ثالثاً: سير عامة للخلفاء والأمراء والقادة والعلماء (السير المفردة): منذ القرن 2هـ/8م أخذ المسلمون في الاهتمام بالسير العامة الذاتية أو الغيرية، أقدمها "سيرة معاوية وبنو أمية" لعوانة الكلبي (147هـ/764م)<sup>4</sup>، كما ذكرت كتب الفهارس العديد من سير الخلفاء مثل: "سيرة أحمد بن طولون" أحمد بن يوسف الداية، وسيرة عمر بن عبد العزيز لأبن الحكم وابن الجوزي، سيرة المأمون العباسي لمؤلف مجهول، وسيرة محمود الغزنوي لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتيبي (437هـ/1036م) والمسماة

<sup>1</sup> - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، ص134.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - يراجع: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص 255-256.

<sup>4</sup> - النديم، الفهرست، ص 103/ محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص26.

الكتاب "اليمني"<sup>1</sup>، وما كتبه فخر الدين الرازي (606هـ/1209م) "الفاخر في أيام الملك الناصر"، أما ابن شداد (632هـ/1236م) فكتب سيرة لصالح الدين الأيوبي بعنوان: "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"<sup>2</sup>. وهناك من المؤلفات التي عنت بسير الخلفاء عموماً منها: "أخبار الخلفاء الكبير" للمدائني البغدادي (225هـ/839م)، "تاريخ الخلفاء" لمحمد بن حبيب النسابة البغدادي (245هـ/859م)<sup>3</sup>.

أما عن سير العلماء: فقد كتب السخاوي (902هـ/1496م) ترجمة لشيخة ابن حجر، وكتب فخر الدين الرازي سيرة للإمام الشافعي ومناقبه<sup>4</sup>. وكتب آخرون في السير الذاتية خاصة مع أواخر القرن 5هـ/11م وخلال القرن 6هـ/12م منها: ما كتبه أسامة بن منقذ حول سيرته، والسيرة المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي<sup>5</sup>.

رابعاً: سير النخب من الشعراء والأطباء وغيرهم: لم تتوقف التراجم عند العلماء والصحابة ومن تبع آثارهم في نقل العلوم والاهتمام بها، وإنما كتب المسلمون في طبقات الشعراء مثل: كتاب "طبقات الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي<sup>6</sup>، وأشهر نموذج لطبقات الأطباء ما كتبه ابن أبي أصيبعة: "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء"، تاريخ الحكماء للقفطي<sup>7</sup>، وطبقات المغنين للجاحظ (كتبها في فصل ضمن كتابه البيان والتبيين)<sup>8</sup>.

1 - عبد الرحمن الحسين العزاوي، التاريخ والمؤرخون في العراق، ص254/ محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، مرجع سابق، ص29.

2 - محمد جميل محمود بني عطا، مرجع سابق، ص26.

3 - طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص254.

4 - محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص30/ محمد جميل عطا، المرجع السابق، ص27.

5 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، ص28.

6 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، ص26.

7 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص27.

8 - محمد العادل لطيف، كتب الطبقات، مرجع سابق، ص144.

خامسا: وقد تجتمع هذه التراجم في مؤلفات واحدة تعنى بالتاريخ المحلي، وتسمى: تراجم الرجال المحلية وأشهر هذه الكتب "تاريخ واسط" لأسلم بن سهل المعروف ببخشل (292هـ/904م) و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (463هـ/1020م) و"تاريخ دمشق لابن عساكر (571هـ/1125م)، والملاحظ عليها أن أغلب المترجم لهم رجال حديث، ومع ذلك نجد فيها تراجم متنوعة منها حتى النسائية<sup>1</sup>.

سادسا: الفهارس والبرامج والأثبات والمعاجم:

"...وهي كتب يسجل فيها العالم أو يتعهد بذلك غيره ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، وأسانيده إلى مؤلفيها الأوائل، وشيوخه الذين أخذ عنهم، وإجازاته منهم، ورحلاته العلمية التي قام بها إلى مختلف الأقطار لطلب العلم"<sup>2</sup>

وقد وجد العلماء أن ترتيب التراجم على حروف المعجم عملية تسهل الحصول على سيرة عالم يبحثون عنه، ولذلك علل ابن خلكان اعتماده الترتيب الألف بائي قائلا: "هذا مختصر في التاريخ دعاني إلى جمعه أني كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتاريخ وفياتهم ومواليدهم... ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات كثيرة في سنين عديدة... فاضطرت إلى ترتيبه، فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه، والتزمت تقديم من كان أول اسمه الهمزة..."<sup>3</sup>.

وهناك نماذج هامة ومتعددة لهذا اللون من التراجم منها: "معجم الشيوخ" لأبي الحسن الصيداوي(ت402هـ/1011م)، "المعجم في مشتهه أسامي المحدثين" لأبي الفضل الهروي(463هـ/1020م)، و"التحبير في المعجم الكبير" لأبي سعد السمعياني (ت562هـ/1166م) "عيون

1 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص101.

2 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22.

3 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر(دت)، م1، ص19-20.

التواريخ" لابن شاکر الکتبی (ت764هـ/1362م) و"شذرات الذهب فی أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي (ت1086هـ/1675م)<sup>1</sup>.

سادسا: المناقب: هناك من كتب فی سیر الصوفیة والأولیاء وحاول حفظ سیرهم مثل أبو نعیم الأصبهانی (430هـ/1038م) فی کتابه "حلیة الأولیاء وطبقات الأصفیاء"<sup>2</sup>، وابن حجر (852هـ/1448م) له سیرتان: سیرة السید البدوی وسیرة السید عبد القادر الجیلانی<sup>3</sup>.

### 3- أهمية مصادر لكتابة التاريخ الإسلامي:

- تبدو التراجم كأثبت صور التعبير التاريخي، حتى أنها سبقت مبادئ صور التاريخ نفسها منذ أقدم العصور، ولم يرتبط ذلك بالحضارة الإسلامية فحسب بل بأقدم الحضارات<sup>4</sup>.
- اعتماد هذه الكتب على الدقة وفي رواية الأخبار التاريخية، خاصة أن تقتفي أثر رجال الحديث في إثبات صحة الرواية وفي تطبيق منهج الجرح والتعديل على الرواة، كما أنها تتميز بغناها بالمعلومات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية<sup>5</sup>.
- ويبدو أن أهميتها وغناها بالمعلومات السياسية والإدارية، وثرها بمختلف الطوائف والأخبار يتأتى كلما ابتعدت عن تراجم أهل الحديث لابتعادهم عن الروايات التي لا تخدم علم الجرح والتعديل<sup>6</sup>.

1 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية/ نبيلة عبد المنعم داود، فن التراجم، مرجع سابق، ص34.

2 - بيروت: دار الكتب العلمية 1409هـ/1988م، يذكر المؤلف ان هدفه: "...جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم، من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم..." للتفصيل ينظر: ص4.

3 - محمد جميل محمود بني عطا، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص24.

4 - فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص141.

5 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق، ص100.

6 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص171.

- تعتمد في الغالب على مصادر سابقة لفترة المؤلف وهو ما يعطيها قيمة عالية، خاصة إذا كانت المصادر القديمة مفقودة، فثلاثة أرباع المادة التي حواها "تاريخ بغداد" منقولة من موارد ومصادر سابقة<sup>1</sup>.
- من حيث التأريخ للحركة العلمية: "...هذه الكتب على درجة كبيرة من الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي عامة والحركة العلمية والدينية خاصة، حيث تعكس تطورات هذه الحركة وتحديد اتجاهاتها، والوقوف على إنتاجها الثقافي، وبالتالي الكشف عن كل من أسهم في وضع أسس للحضارة الإسلامية، أو شارك في بناء صرحها الشامخ في ميادين الفكر والعلم"<sup>2</sup>
- "إن أهمية كتب التراجم في دراسة التاريخ الإسلامي كبيرة وشاملة، فإن كانت كتب التراجم تتناول الخلفاء والوزراء والولاة فإنها تلقي الضوء على النظم السياسية والإدارية، وإن كانت تتناول تراجم أرباب العلوم والآداب من نحاة ولغويين وأدباء وحكماء"<sup>3</sup>
- بالنسبة لكتب الفهارس والتراجم: "...وهذا النوع من المصادر يعرفنا بالكتب التي كانت متداولة بين الناس في عصر من العصور، أو في مصر من الأمصار"<sup>4</sup>، ويعتبر كتاب الفهرست للنديم أشهر هذه الكتب التي ساهمت في إحصاء كل ما أُلّف في ضروب العلم والمعرفة باعتباره وراقا وله اطلاع عليها، وقد قال فيه المستشرق الإيطالي نللينو: "هذا كتاب من أنقى النفائس لا نظير له فيما يتعلق بمعرفة مصنفى العرب وتأليفهم في كل فن في أواخر القرن الرابع للهجرة، ومعرفة ما ترجم إلى العربية من كتب الهند والفرس واليونان والسريان، فتجدون فيه أسماء مئات من الكتاب وتستفيدون منه في أسماء ألوف من التصانيف المفقودة"<sup>5</sup>.

1 - فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مرجع سابق ص101.

2 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22، 260، 261.

3 - أكرم ضياء العمري، موارد الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ص172.

4 - طه عبد المقصور عبد الحميد طه، الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص22.

5 - نقلا عن: عبد الرحمان عميرة، أضواء على البحث والمصادر، ط6، بيروت: دار الجيل (دت)، ص108.

وكخلاصة لما ذكر فإن المؤرخ لا يمكنه الاستغناء عن هذه المصادر في البحث التاريخي خاصة منه المتعلق بالحركة العلمية، فهي تتضمن:

- معلومات ثرية عن الحياة العلمية بمختلف مجالاتها (فقه، حديث، علوم القرآن، علوم عقلية، فلسفة، منطق، أدب...)
- إضافة إلى المراكز العلمية الجاذبة للعلماء والمناهج المتبعة في التعليم والمؤلفات السائدة آنذاك والمذاهب المتبعة...
- في كثير من الأحيان يعتبر أصحاب التراجم شهود عيان عن كثير من الأحداث العلمية والسياسية وحتى الاجتماعية.
- تحمل هذه المؤلفات في ثناياها تعبيراً صادقاً عن طبقات المجتمع والمستوى الفكري السائد آنذاك، كما تعبر عن مستوى العلاقات الثقافية ومدى تأثرها بالعلاقات السياسية.
- علاقة السلطان بالعرفان، فهذه المصادر تمكننا من معرفة علاقة العلماء والسلطة العلمية بالسلطة السياسية وتأثير ذلك على الفكر والواقع السياسي.
- تقييد كثير من الأحداث مجهولة الأزمنة طبقاً لعصور المترجم لهم الكثير من المؤلفات بجهل تواريخها فنذكره من خلال مؤلفيها.

أما العوائق التي قد يتعرض لها الطالب في تعامله مع هذا النوع من المصادر هي تشابه أسماء العلماء وتشابه كنهانهم وحتى سلسلة أنسابهم، مما يوقع الطالب أو الدارس في مغالطات في الكتابة عن بعض حقول المعرفة التاريخية.

#### 6/- الوثائق الرسمية:

إن مفهوم الوثيقة أخذ أبعاداً ومفاهيم أوسع في الوقت الحالي حتى أصبح يعني كل الآثار المكتوبة والمنقوشة التي خلفها الإنسان من زمن معين، لكن المقصود هنا هي الوثائق الرسمية التي ترتبط بالسلطة وتكون طرفاً أساسياً فيها.

#### أ/- مفهوم الوثيقة:

قبل التوسع في أهمية الوثائق كمصادر لكتابة التاريخ الإسلامي من الضروري الوقوف على مفاهيمها. من الناحية اللغوية: أشار ابن منظور إلى معنى الوثيقة في مادة "وثق" وقد جاء في سياق المعاني التي أوردها أن: "الوثاقة مصدر الشيء الوثيق المحكم... والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة والجمع الوثائق... والوثيقة الإحكام في الأمر..."<sup>1</sup> وأشار دارس آخر إلى أن الوثيقة لغة هي: "الشيء الموثق الذي يمكن الركون إليه والاعتماد على ما يحويه من معلومات، وهي مشتقة من مصدر الثقة والوثوق، وكلها كلمات توحى بالصدق والاعتماد على الشيء الموصوف به"<sup>2</sup>، وأورد آخرون: "وسميت وثائق من الوثيقة، وهي ربط الشيء لئلا ينفلت ويذهب"<sup>3</sup>، وهو الأمر الذي يؤكد على تطابق المفهوم اللغوي للتوثيق مع استعمالاته في تنظيم المعاملات بين الناس خلال العصر الوسيط. فقد عنى المسلمون بعلم التوثيق، وكان لهم فيه تأسيس مهم للغاية، وسمي لديهم أيضا: بعلم الشروط، وقد أتى بعض الباحثون على عراقة التوثيق في الحضارة العربية الإسلامية، وأصوله المستمدة من حرص الشريعة على حفظ الحقوق، وانتقال الملكيات، وتقسيم الواجبات اعتمادا على الكتابة بدلا من المشافهة.

ومن أهم المصنفين في هذا العلم: هلال يحيى الرازي ت 245هـ/859م له (تفسير الشروط)، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي 321هـ/933م الموسوم (الجامع الكبير في علم الشروط)، أب بكر محمد بن عبد البيهقي الذي ألف (آداب القضاء والشروط والمواثيق)<sup>4</sup>.

أما من الناحية الاصطلاحية: فقد اتفقت المراجع على أنه حفظ وتسجيل كل ما يتعلق بأموال الناس وأنسابهم وأعمالهم، وحفظها بكل أشكال الحفظ منها الإدارية التي تعمل على تنظيم المعلومات وتبويبها

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج53، ص 4764.

2 - محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص7.

3 - إدريس السفيناني، الوثائق والأحكام بالمغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، الرباط: مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، دار الأمان، 1433هـ/2012م، ج1، ص 204.

4 - عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، لبنان: المدار الإسلامي 2004م، ص 46-47.



ورقمتهما حتى يسهل الرجوع إليها<sup>1</sup>، كما أخذت معنى أدق عند المؤرخين من خلال حصرها في "الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية، كالأوامر والقرارات والمعاهدات والمراسلات السياسية، والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد والتجارة والأمور الحربية، وحتى المذكرات الشخصية للمسؤولين في الدولة"<sup>2</sup>، كما أثنى باحث آخر على مفهوم وأهمية الوثيقة قائلا: "والوثيقة فنيا صك يجوي معلومات تصدرها هيئة رسمية معترف بها ولها بالحق بإصدار مثل هذه الأشياء، وتحمل من السمات العائدة إلى تلك الهيئة ما يمكن الاطمئنان إلى صحة صدورها عن تلك الهيئة ويقطع دابر التزوير"<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس إذا اقترن التوثيق بالتاريخ فهو يعني: البحث الدقيق في المصادر التاريخية، لاستخلاص الواقعة من شواهد وأدلة موثوق بها، حتى يكون التاريخ صورة حقيقية للوقائع التي يتناولها<sup>4</sup>.

من الصعب الحصول ونحن في العصر الحالي على هذا النوع من المصادر في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي عموما، فلم تحفظ لنا الوثائق التي ترجع إلى فترة العصر الإسلامي الوسيط بنفس الكم الذي حفظ لدى الغرب، وقد أوعز أحد الباحثين<sup>5</sup> ذلك إلى أن المجتمعات الأوروبية حفظت الوثائق لاعتبارها مرجعا للتشريعات والقوانين وحفظ الحقوق وضبط النظام العام، بينما المجتمعات الإسلامية لا تحتاج إلى ذلك، فالقرآن والسنة هما أصلا التشريعات والقوانين بها، وكل ما تأتي به الدول ويأمر به السلاطين لا يتعدى الحدود الزمنية التي يعيشونها، لذلك لا يكون من الضروري الاحتفاظ بالوثائق التي تضمنت أوامر السلطان وتنظيماته وكل ما تعلق بالنظام العام، كما أن الكوارث والمصائب التي مرت على تاريخ العالم الإسلامي كانت هي الأخرى سببا في ذلك الضياع<sup>6</sup>.

1 - إدريس السفياي، الوثائق والأحكام بالمغرب، مرجع سابق، ج1، ص 204.

2 - صائب عبد الحميد، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 36.

3 - محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص7.

4 - إدريس السفياي، المرجع سابق، ج1، ص 204.

5 - سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 109.

6 - محمد ماهر حمادة، المرجع سابق، ص10.

ولقد تأسف الباحثون المهتمون بهذا الجانب على فقدان كنوز هذه الدواوين مؤكدين على وجود الثقافة الأرشفية في العهود الأموية والعهود التي تلتها خاصة أن الجاحظ في كتابه "الحيوان" أشار إلى أن الهيثم بن عدي أشار نقلا عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمر أنه قال: رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك الصين...، ما يدل على وجود سجلات رسمية لحفظ المراسلات والقرارات والمعاهدات الرسمية<sup>1</sup>.

إن هذا الأمر جعل الكثير من المراسلات والوثائق الرسمية موجودة ضمن الكتب الإخبارية، رغم أن هذه الأخيرة تفاوتت في الاهتمام بها<sup>2</sup>، طبعا حسب قربها من السلطة والدواوين وجهاز الحكم. ومن بين أهم المؤرخين المسلمين الذين اهتموا بجمع الوثائق وتدونها في مؤلفاتهم<sup>3</sup>:

- كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (279هـ/892م): بها رسالة يرون أن عثمان كتبها للمصريين الذين جاؤوا يحتجون على أعماله.
- اليعقوبي (284هـ/897م): فقد خصص فصل في تاريخه لمكاتبات الرسل والخلفاء الراشدين والرسائل البيزنطية لأهميتها.
- العماد الأصفهاني (597هـ/1200م): في كتابه (البرق الشامي) وهو عبارة عن مذكرات مرتبة على النموذج الحولي، وهو مؤلف من وثائق ورسائل ومنشورات دونها الأصفهاني وكل الأحداث التاريخية التي عاصرها.
- القلقشندي (ت814هـ/1411م) في كتابه: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" إذ تعتبر كتب الإنشاء والكتابة من أهم المؤلفات التي قد تحوي الكثير من المراسلات الرسمية.

1 - محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص10.

2 - روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 167.

3 - محمد أحمد الترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 174-177.

ومع أهمية هذه المراسلات والوثائق المتضمنة في المؤلفات الإخبارية، إلا الحديث هنا لا يتعلق بمثل هذه الوثائق، وإنما القصد متوجه نحو السجلات المحفوظة في دور الأرشيف الرسمية<sup>1</sup>، فوجود هذا النوع من الوثائق قليل إلا في مصر وبلاد فارس؛ فقد وجدت الكثير من الوثائق (المنسوخة على أوراق البردي) التي تعود إلى عصر الفتوحات والإخشيديين والطولونيين وغيرهم كثير ومازال ما هو محفوظ منها إلى اليوم في المتاحف العالمية<sup>2</sup>، وقد أخذت اهتمام المستشرقين فكتبوا عنها في دراساتهم الأكاديمية<sup>3</sup>. كما أن وثائق الجنيزة التي حفظت في أديرة الأقباط تعتبر من أهم المصادر التي أرخت للقرنين 4-5هـ/10-11م وأثرت الكتابة التاريخية بمعلومات حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال هذه الفترة سيما دور اليهود في التجارة وعلاقاتهم ونشاطاتهم ضمن المجتمعات الإسلامية الوسيطة.

كما توجد مجموعات هائلة من الوثائق التي تعود إلى فترة هامة من تاريخ المسلمين، وهي وثائق الحروب الصليبية التي حفظت في دور الأرشيف الأوروبية الرسمية، وهذا النوع هو الذي يستحق أن يطلق عليه مصطلح "وثائق" حسب دلالة المصطلح.

من خلال الاطلاع على أنواع المصادر التاريخية نقف على أهمية المعرفة التاريخية في الحضارة الإسلامية، وتبين لنا تنوع الاتجاهات التي سلكها المؤرخون المسلمون، وغزارة المادة الناتجة عن ذلك، كما ينم ذلك على الفهم الواسع للفكر التاريخي وتطبيقاته وتماشيه مع التطورات السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية التي عرفتها بلاد المشرق الإسلامي في العصور الإسلامية المشرقة، وهنا لابد للطالب والمؤرخ أن يطلع عليها رغم صعوبة مفرداتها واختلاف أسلوبها عن الأسلوب اللغوي لعصرنا، مع ضرورة الانتباه إلى أن ما رواه المؤرخ قابل للنقد والقراءة.

<sup>1</sup> - يذهب كثير من الباحثين أن الوثائق تطلق على السجلات والمحفوظات التابعة لدور رسمية أو شبه رسمية، ينظر مثلاً: عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، مرجع سابق، ص 46.

<sup>2</sup> - كلود كاين وجان سوفاجيه، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1998م، ص 41-42 / سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ص 11-114.

<sup>3</sup> - للتفصيل في الموضوع ينظر: سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 113.

## د/- المصادر المادية (الآثار والنقوش والمسكوكات):

للآثار أهمية واسعة في كتابة التاريخ، إذ هي الشاهد عن التاريخ وعن قيمة الإنجازات الإنسانية حسب العصور التي تنتمي إليها، ومن هذا المبدأ فإنه للمصادر المادية أهمية كبيرة في كتابة التاريخ الإسلامي، خاصة أن هذه الشواهد تخضع للدراسة تحت عناية علم بأكمله ومنهج وأهداف، وهو الأمر الذي يضيف المصدقية والعلمية على المعلومات التي نأخذها منها، قبل التفصيل في أهمية المصادر المادية في كتابة التاريخ لا بد من التعريف بهذا العلم الذي يعنى بها.

لم يتفق الباحثون على تحديد معنى واحد لعلم الآثار<sup>1</sup> لكن هناك من لخص مفهومه في: "دراسة جميع الأشكال الملموسة والمنظورة التي تحفظ نشاط بشري كآثار كهف طبيعي سكنه الإنسان"<sup>2</sup>؛ وهناك من عرفه بأنه: "علم يبحث عن مخلفات الماضي وبقاياها الأثرية واستخراجها من تحت التراب بالأساليب العلمية"<sup>3</sup>. وخلال القرن السابع عشر استخدم للدلالة على: "دراسة جميع الأشياء المادية المنظورة التي صنعها الإنسان القديم أو الأشياء التي لها علاقة مباشرة به"<sup>4</sup>.

ومع أن الأركيولوجيا كمصطلح فيلولوجي يعني علم الأشياء القديمة، إلا أن التطورات المنهجية الحديثة تجاوزت هذا المفهوم ليشمل علم الآثار دراسة كل ما يتعلق بمخلفات الإنسان والبيئة التي عاش فيها وما ترتب عن ذلك من تفاعل بينهما<sup>5</sup>.

1 - إسماعيل سامعي، علم التاريخ عند العرب، ص127.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - كامل حيدر، منهج البحث التاريخي والأثري، بيروت: دار الفكر اللبناني 1995م، ص11.

5 - فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، ص124.

وبذلك فلعم الآثار يعنى بترتيب ودراسة مخلفات الحضارات القديمة -وتفسيرها- واستنباط الحقائق التاريخية منها، بواسطة أساليب علمية دقيقة، قوامها المشاهدة والموازنة والاستنباط، وهدفه أن يهتدى إلى التاريخ الكامل للعصر الذي يعنى بدراسته<sup>1</sup>.

وتنقسم الآثار إلى نوعين:

- آثار ثابتة: وهي التراث العمراني عموما وما ارتبط به من مساجد، وقصور الخلفاء والامراء والولادة، وما حوته من نقوش وكتابات وناפורات وحدائق وغيرها.
- آثار منقولة: وهي المسكوكات بالدرجة الأولى، ومختلف المواد التي يستعملها الإنسان مثل: الأواني الفخارية والحلي وأدوات العمل والفلاحة والصناعة وغيرها...

ومن المعروف تاريخيا وعلميا أن حضارة المشرق خلفت تراثا أثريا هائلا يستحق الاهتمام من طرف الباحثين<sup>2</sup>، ويبدو ضروريا للدراسة التاريخية، خاصة من حيث المخلفات العمرانية والمعمارية بمختلف أشكالها وأنواعها (مساجد، قصور، نقوش، زخارف، نقود، أواني فخارية ونحاسية وحتى ذهبية وفضية...). وقد تضمنت العديد من الكتابات على جدران المساجد وفي التحف الأثرية وعلى شواهد القبور وفي الأضرحة والتكايا والمنازل وسائر العمائر وعلى المنسوجات؛ وقد وصل إلينا الألوف من هذه الكتابات المليئة بالأدعية والآيات القرآنية والحقائق المؤرخة، خاصة أنهم اعتمدوا الكتابة كعنصر من العناصر الزخرفية<sup>3</sup>.

ولا نعتقد أنه يختلف باحثان أو طالبان في أهمية المصادر المادية، بل مصداقيتها وذلك للأسباب

الآتية:

1 - علي محمود المليجي، مدخل إلى علم الآثار الإسلامية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية 2008م، ص124.

2 - للاطلاع على بعض أنواع الآثار في الحضارة الإسلامية ينظر: المرجع نفسه.

3 - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ص121.

- تعتبر النقود من الوثائق الأصيلة وذلك بسبب النقوش التي تحملها والتي تتمثل في أسماء الأمراء وألقابهم وكذلك في العبارات المنقوشة، سواء كانت ذات دلالات سياسية أو دينية أو غيرها<sup>1</sup>.
  - قدرتها على الثبات أمام متغيرات الزمن، إلا إذا طرأ عليها طارئ طبيعي أو تأثرت بتأثير بشري.
  - معاصرتها للأحداث والحقائق التي تنقلها أو تشير إليها.
  - كتبت لحاجة جمالية أو وظيفية، ولم تكتب لتسجيل الحقائق التاريخية أو للتأريخ لطرف من أطراف السلطة أو النخبة، لذلك فهي تتميز بالحياد ولا تتحيز لطرف دون الآخر.
  - إذا لم تتعرض للتغيير فتواريخها أكثر صحة والأدق والأولى أخذها بعين الاعتبار، وقد وردت نماذج لدى بعض الدارسين يؤكدون على ان النقوش والكتابات الواردة في الآثار افسلامية بالمشرق صححت الكثير من الأخطاء الواردة لدى المؤرخين، منها: تعريب السكة فقد اختلفت الروايات فيها بين سنة: 72هـ، 74هـ، 75هـ، 76هـ، بينما اثبتت النقود أنها كانت بشكل نهائي سنة 77هـ ، وغيرها من الأحداث مثل: روايات بناء المدن مثل: بغداد...، وغيرها من الأمثلة<sup>2</sup>.
- وعلى هذا الأساس فإن الباحث يمكن توظيف نتائج الأبحاث الأثرية في:
- المجال السياسي: من خلال معرفة الأسرات الحاكمة وإنجازاتها العمرانية، وبعض الأسماء التي أغفلتها كتب التاريخ، مثل الوزراء وغيرهم من أهل السلطة والبلاط.
  - من المواضيع الهامة التي وردت بشكل عشوائي في المؤلفات الإخبارية وساعدتنا المصادر الأثرية على معرفتها هي مسألة الألقاب منها اتخاذ المأمون لقب الإمام سنة 193هـ/808م بدل سنة 195هـ/810م أي قبل توليه السلطة خلال ولاية العهد، وهو ما أثبتته درهم عشر عليه، ضرب ببخارى سنة 193هـ/808م<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية، مرجع سابق، ص33.

<sup>2</sup> - محمد حمزة إسماعيل الحداد، النقوش الآثرية مصدرا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق 2002م، ص59-68/ يمكن الاطلاع على أمثلة عديدة في كل الكتاب.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص69-73.

- أما المجال الاقتصادي: فإن المواد المستعملة وضخامة العمران المادي توحى بالاستقرار الاقتصادي، والرخاء المالي، أو بإثقال كاهل السكان وعمامة الناس بالضرائب والمكوس، ولا يمكن إغفال أهميتها في إبراز المصنوعات من الفخار والمعادن وتأثرها بالشعوب السابقة أو تأثرها فيها.
- ومن المجال الاجتماعي: فإن الآثار المختلفة والقصور والمسكن والأواني تعطينا فكرة واضحة ودقيقة عن طبيعة ونمط المعيشة في مجتمعات المشرق في العصر الوسيط؛ وذلك من خلال استكشاف العادات والتقاليد وحتى طبيعة الذهنيات والعلاقات والمستوى المادي والاجتماعي للمجتمعات والشعوب التي خلفت هذه الآثار.
- أما من الناحية الثقافية والعلمية: فإن هذ المصادر تفيدنا في مستوى تطبيق العلوم الرياضية والهندسية في هذه المجالات، ومدى التطور التقني الموجود بها مثل: النافورات، الساعات والأدوات الفلكية...
- ومن الناحية العمرانية والفنية فهذه المصادر تفيدنا في الطرق المعتمدة في الرسم والزخرفة وإيجاءاتها الفنية ومستوى الذوق الإنساني آنذاك<sup>1</sup>، والمواد المستعملة في البناء وضخامته ومتانته وصلابته، أو هشاشته وغيرها من المعلومات التي تفيد هذا المجال. كما أنها "تعطي فكرة صحيحة عن طبيعة العصر الحضارية من الناحية المادية، مما يعجز الوصف عن التعبير عنه مهما بلغ من الدقة والأمانة"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - لطيفة بن سعيد، "البعث الإيماني للعمارة والتعمير"، المؤتمر الدولي الرابع: العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر والنهضة الأوروبية، 8-9-10 جوان 2014م، سلسلة منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلاقات الخارجية والتعاون والتبادل والتنشيط والاتصال والتظاهرات العلمية، 2015م، ص 68-76.

<sup>2</sup> - نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية ومناهج البحث، مرجع سابق، ص 33.

وتعتبر القدرة على الإبداع وتنوع المصنوعات وتنوع أفكارها وزخارفها وأشكالها وميادين استعمالها، والمواد التي يستعملها خاصة المعادن والخشب وغيرها<sup>1</sup>، من أهم ما يمكن أن يستنتجه المؤرخ من خلال التحف والأدوات المستكشفة.

- في حالة الاختلاف بين نص مكتوب ونص أثري فإن الأولوية تقدم للمصدر المادي، مع أن الطريقة المثلى هي المقارنة بين النصوص التاريخية والأدبية والمصادر المادية والموازنة بينها، ويعتبر المستشرق السويسري ماكس فان برشم Max Van Berchem الذي يعتبر رائد المشتغلين بعلم الكتابات الأثرية الإسلامية<sup>2</sup>.

ومن الصعوبات المنهجية والعوائق التي تعترض الباحث أو الطالب عند استفادته من المصادر المادية:

- الكتابات التاريخية الأثرية التي ترجع إلى العصر الإسلامي الوسيط يغلب عليها التكرار وينقصها التنوع، فالغالب عليها آيات القرآن الكريم، والأدعية، وعبارات التعظيم خاصة لمن شيدوا هذه العمائر<sup>3</sup>.

- يذهب بعض الباحثين إلى أن المصادر المادية توفر معلومات منقوصة وجب على المؤرخ استكمالها بمصادر أخرى خاصة المكتوبة، فالمخلفات المادية لا تمكننا من معرفة الواقع الاجتماعي أو الاقتصادي بأكمله في الماضي لذلك يرفض علم الآثار في وقتنا الحالي تلك التفرقة بين المخلفات المادية ومكملاتها من ثقافة الشعوب آدابهم وأديانهم وعلومهم...<sup>4</sup>.

1 - حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة: دار النهضة العربية 1990م، ص 249-262.

2 - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ص 123-124.

3 - المرجع نفسه، ص 122.

4 - فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي 2000م، ص 44-45.



## هـ- مصادر الرحلة والجغرافية ومعاجم البلدان

شغلت أدبيات الرحلة والجغرافيا مكانا مميذا ضمن مجال الثقافة العربية الإسلامية، فقد كان لها وزنا هاما ومكانة خاصة في الحضارة الإسلامية، حتى أنها كانت من أكثر الحضارات ميراثا للمدونات الجغرافية وكتب المعاجم، التي تجمع خصائص الممالك وتحدد اتجاهات المسالك، وتعمل على رسم صورة دقيقة عن مختلف دول العالم الإسلامي خاصة، وكل المعمورة حسب رسمها في ذهنيات ذلك العصر وحسب ثقافته وفكره وما أخذه عن الشعوب السابقة.

"يقوم أدب الرحلة على عدد من المعطيات الحضارية والإيديولوجية حيث يعد هذا الحقل الأدبي نصا جامعا لمجموعة من الاختصاصات المعرفية والعلمية"<sup>1</sup>، فالمطلع على ما تضمنته هذه المؤلفات يستكشف العالم آنذاك، خاصة المناطق التي يمر عليها الرحالة أو ما نقله لنا الجغرافيون بمختلف قضاياها الفكرية والسياسية، دون أن يهمل مميزات الاقتصادية وخصوصياتها الاجتماعية؛ إن هذه المسألة أو الأهمية جذبت نحوها اهتمامات الباحثين لحل الإشكاليات المتنوعة التي تعرضهم عند البحث في التاريخ الإسلامي خلال العصر الوسيط عامة، وتاريخ وحضارة المشرق خصوصا. هذا ما يدفعنا لدراسة هذا النوع من المصادر وإمكانيات المؤرخ للاستفادة منها.

### 1/- مفهوم الرحلة والجغرافيا:

من الضروري أن نعرِّج أولا على مفهوم الرحلة والجغرافيا ووجودهما في الفكر الإسلامي:

#### 1/أ- الرحلة:

الأصل في القول: ارتحل البعير رحلة أي سار ومضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، أي: انتقلوا، والرحلة تعني الانتقال وهي اسم للارتحال للمسير<sup>2</sup>، وهو ما يوافق ممارسة العرب للرحلة وانتقالهم بين البلدان وتسجيلهم لمشاهداتهم بها، حتى غدت ثقافة راسخة و"رغبة

<sup>1</sup> - في مقدمة تحقيق: أبو حامد الغرناطي، رحلة، تحقيق كمال بولعسل، قسنطينة: نو ميديا للطباعة والنشر 2011م، ص 11.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، 2011م، ج 18، ص 1610-1611.

في ارتياد المجهول وتقصي الحقيقة وطلب العلم والمعرفة من مواطنها الأصلية<sup>1</sup>، ونظرا للتأثر بمختلف العلوم مثل الفلك والجغرافيا والعودة إلى ما دونته الشعوب السابقة أصبحت الرحلة لونا من ألوان المعرفة التي يتطلع العرب إلى معرفتها.

## 1/ب- الجغرافيا:

تعني الجغرافيا: العلم الذي يعنى بتحديد المسافات، وتقسيم العالم إلى أقاليم وفقا لأسس معينة منها ما هو مرتبط بعلم الفلك، وطبيعة البشر، ونوع النبات وغيرها من الأمور التي تبرز عند الوصف، وإن كان هناك الكثير من الباحثين لا يفرقون بين الرحلة والجغرافيا في بحوثهم ودراساتهم رغم تداخلهما وتشابهما، إلا أن الرحلة في الغالب تحوي العديد من المعلومات الجغرافية، لكن ليس بالضرورة كل جغرافي رحالة، وليس كل رحالة عالم جغرافيا، ويرجع ذلك في الغالب إلى مستوى ثقافة الرحالة وسبب رحلته والهدف منها.

فقد تضافرت دواعي وأسباب مختلفة حظت الناس على الرحلة ويسرت أمرها، فكثرت الرحلات وتنوعت بتنوع حوافرها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ وراج أدب الرحلات وراجت معه تأريخ المغامرات ومختلف مشاهدات الرحالة في أصقاع العالم. فقد شغلت حيزا كبيرا من الحركية الفكرية والثقافية للشخصية الإسلامية وذلك لأسباب علمية مثل: الرحلة العلمية وزيارة الحواضر، أو اقتصادية (تجارة) أو لأسباب سياسية (السفارات التجسس) أو المشاهدة والمغامرة والاكتشاف...

وقد نتجت عنها عدة أنواع:

- هناك رحلة تصنف الأقاليم والبلاد وما حوت من مشاهدات وغرائب
- رحلة هدفها زيارة البيت العتيق مثل رحلة ابن تومرت هدفها الحج وزيارة الحواضر الثقافية والعلمية
- رحلة لقاء العلماء ومذاكرتهم والأخذ عنهم
- رحلة هدفها السفارة وربط أواصر الصداقة

1 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة: دار البيان العربي دت، ص1610-1611.

- رحلة هدفها المغامرة واكتشاف العالم
- رحلة هدفها التجارة والربح في الغالب يصاحبها نشر الدين
- رحلة هدفها بسط السلطان (توسيع النفوذ بأي شكل مثلا: ابن حوقل)

بالنسبة للنوع الأول: الجغرافيا الوصفية الإقليمية ألفت لهدف جغرافي وهو الأكثر جذبا للباحثين، ذلك أن هذا المجال من التأليف جاء نتيجة الاتساع الجغرافي للعالم الإسلامي وما صاحبه من تلاقح للأفكار ونمو العلوم وازدهارها، وكان ذلك متزامنا مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية. إن الاهتمام بعلم الجغرافيا كان نتيجة لحاجات متعددة:

- تسهيل الطريق لأداء فريضة الحج.
- الرغبة في توطيد دعائم الدولة (وهو السبب الذي أدى إلى ظهور نوع مهم من المصادر الجغرافية وهو المسالك والممالك) خاصة بعد الفتوحات لتسهيل رسم حدود الدولة وتحديد خراجها.
- تسهيل الصلات بين مركز الخلافة وسائر أطرافها "فكان يشق طرق جديدة للمواصلات واستيفاء معلومات دقيقة عن تلك الطرق مع تعداد المراحل ومنازل البريد وتحديد المسافة وظروف السفر..."
- هذا من الإفرازات الأولى لعلم الجغرافيا عند العرب، هذا فضلا عن الدوافع العلمية المتمثلة في توسيع دائرة المعارف والرغبة في التأليف في كل فروع المعرفة.

## 2/- نشأة وتطور الفكر الجغرافي في الحضارة الإسلامية:

رغم ظهور الكثير من الآراء التي تعمل من أجل ترسيخ فكرة تأثير الفكر اليوناني على اهتمام العرب بهذا النوع من التأليف<sup>1</sup>، إلا أن ذلك لا يعني جهلهم التام بوصف البلدان والمدن والطرق، فقد عرفوا ذلك مبكرا موازيا للفتوحات، ومنظما لعملية الخراج والجزية، منذ العصر الراشدي<sup>2</sup>، مع ضرورة التأكيد على أن علم الجغرافيا جذوره ضاربة عند العرب قبل مجيء الإسلام.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر 1416هـ/1995م، ص 25-26/ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 170.

<sup>2</sup> - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 49/ أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص 46-49.

فقد كانت معرفتهم لعلم الجغرافيا قديمة أي قبل مجيء الإسلام وما ذكر في أشعارهم أكبر دليل على ذلك، فقد كان تجوالهم في شبه الجزيرة العربية وفي رحلاتهم يحتاج إلى تحديد المواقع والمسافات فاستخدموا النجوم للاهتداء بها وقد أثبت العلم الحديث صحة القواعد الفلكية التي كانوا يعتمدون عليها، حتى أن هناك من اعتقد بأن لهم مؤلفات في هذا المجال<sup>1</sup>؛ خاصة أن العرب عرفوا بالترحال للاستزاق والتجارة والخوض في تجارب المغامرة، وقد أشار القرآن إلى ذلك في رحلتي الشتاء والصيف. ومع نزول الشريعة الإسلامية وانتشارها جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على الرحلة والتفكير في خلق الله وركوب البحر وغيرها، كما نجد في أفعال وقرارات الرسول صلى الله عليه وسلم ما يشجع على الرحلة ويحث عليها، فقد يلجأ إليها المسلم خوفاً على دينه وهرباً به عن طريق الهجرة، وتعد الرحلة إلى أرض الحبشة أولاً ثم الهجرة إلى المدينة ضمن ثقافة وفكر التنقل الراسخ في الذهنية العربية ثم الإسلامية بعد ذلك<sup>2</sup>.

رغم وجود روايات ونصوص تؤكد التنظيم الإداري المبكر لدولة الإسلام من بينها اتباع نظام البريد من خلال البعثات التي تأتي بأخبار الطريق وما يؤمن السفر والترحال خاصة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>، إلا أن الفترة المهمة التي بدأ معها نظام المراقبة بشكل واضح ترتبط بعهد عمر بن الخطاب حتى قيل أنه: "كان لعمر عيون على الناس عجيبة"، وقد تطور نظام البريد واكتملت معالمه في عهد الأمويين حين قاموا بعمارة الطريق وصنعة الأميال من دمشق زمن إيليا إلى جنوب الشام، ورغم

<sup>1</sup> - إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ص40/ أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص34.

<sup>2</sup> - عمر بن حمادي، "الرحلة عند المسلمون في العصور الوسطى: أصنافها وأهميتها"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، 2010م، ع139، ص75. (ص 73-95)

<sup>3</sup> - ينظر مثلاً: الخزاعي، أبو علي الحسن بن محمد، مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، إعداد أحمد مبارك البغدادي، الكويت: مكتبة السنديس 1410هـ/1990م/ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، مرجع سابق، ص9/ نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب: سليمان التاجر، عجائب الدنيا وقياس البلدان، دراسة وتحقيق سيف شاهين المريخي، منشورات مركز زايد للتراث والتاريخ (دت)، ص8.

إهمال الجغرافيين الأوائل لذكر هذه العمارة إلا أن المقدسي تحدث عن المسافات بين المدن والحواضر مستعملا بريد كوحدة قياس (تقدر ب: 12 ميلا) ما يدل على أن للتنظيم الإداري أهمية ومساهمة في تنمية وتغذية الفكر الجغرافي وتسهيل الرحلات بمختلف أشكالها<sup>1</sup>.

وقد أفرز التخطيط الإداري اهتماما واسعا بتحديد المسالك والممالك حتى غدا فرعا مستقلا من فروع علم الجغرافيا، وقد ساعد على تطوره إنشاء ديوانا خاصا في العصر العباسي سمي: "ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب" وهو مرفق ترعاه الدولة وتضمن تأمينه وقد حددته بالأميال تطينا وإيناسا لسالكيه، وكانت هذه الأميال كما يصفها ياقوت الحموي: "مبنية في عشرة أذرع أو قريبا من ذلك، وغلظها مناسب لطولها"<sup>2</sup>، ومع اتساع تيار الترجمة لعلوم اليونانيين والإغريق والفرس وازدهار العلوم وظف العرب والمسلمون علم الرياضيات والفلك لصالح علم الجغرافيا وألفوا في ذلك<sup>3</sup>.

بالنسبة للأدب الجغرافي خلال الحضارة الإسلامية فأقدم من اشتهر في التأليف في هذا المجال هو ابن الكلبي (217هـ/832م)<sup>4</sup> في القرن الثالث الهجري كتاب: "البلدان الكبير" وكتاب "البلدان الصغير" كتاب "الأقاليم والأخبار" كتاب "اشتقاق الدول" لم يصلنا من هذه المصادر إلا نصوص متناثرة نقلها إلينا الرحالة والجغرافيون الذين جاؤوا بعدهم. إن بوادر نضح الجغرافيا كعلم أخذ في الظهور مع النصف الثاني من القرن 3هـ/9م بعد ازدهار الترجمة والاطلاع على أفكار بطليموس ومارينوس وغيرهم، ويعتبر كتاب ابن خردذابة (282هـ/885م) "المسالك والممالك" المصنف الأول الذي عبر عن ذلك ويبدو أنه نقل عن البلخي (322هـ/934م)، وبعد سنة 290هـ/903م ألف ابن رسته من أصفهان كتابه "الأعلاق

1 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة، مرجع سابق، ص 9-10.

2 - إبراهيم شيوخ، "أنظار في بعض مشكلات النص الجغرافي التراثي"، أبحاث المؤتمر الخامس: علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، 1999/11/25-24م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن: 1426هـ/2005م، ص 81.

3 - للتوسع ينظر: رشدي راشد، "العلوم الرياضية المتعلقة بكوكب الأرض"، أبحاث المؤتمر الخامس: علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، مرجع سابق، ص 7-29.

4 - النديم، الفهرست، ص 109/ عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص 25-26/ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون، مرجع سابق، ص 170.

النفيسة" لفائدة أمناء سر الخلافة أو كتاب الدواوين وقد اعتبر أكثر توسعا وشمولا من الأول مع أنه لم يصلنا إلا جزءاً منه، وفي نفس السياق كتب قدامة بن جعفر كتابه "كتاب صناعة الكتابة" لصالح التنظيم الإداري (320هـ/932م)<sup>1</sup>.

تمثل الفترة الممتدة بين القرنين 3 و5هـ/9-11م حتى منتصف القرن 6هـ/12م مرحلة الاهتمام العلمي الدقيق بالجغرافيا، واشتهرت أغلب المؤلفات بالمسالك والممالك، وأشهر الجغرافيين في هذا المجال الاصطخري، ابن خردذابة، المسعودي، والوراق، اليعقوبي، المقدسي، ابن حوقل، الإدريسي...، في حين أن ما بعد هذه الفترة إلى غاية القرن 10هـ أصبح الاهتمام بعلم الجغرافيا نظريا أكثر منه تطبيقي؛ أي: أن الجغرافيين أصبحت كتبهم عبارة عن معاجم ينقلون فيها ما كتب سابقهم عن الأقاليم والأمصار الموجودة في العالم الإسلامي، كما أخذت طابع الخرافة وجمع الغرائب والقصص المحلية مثل: ياقوت الحموي، القزويني، ابن بطوطة، الحميري...

### 3/- أهمية مؤلفات الرحلة والمعاجم الجغرافية في دراسة التاريخ الإسلامي:

نظرا لكم الهائل والنوع المميز للتراث الفكري الجغرافي وكتب تقويم البلدان وغيرها، فالباحث أو الطالب لا يمكنه إهمال هذا النوع من المصادر لفك العديد من القضايا المرتبطة بحضارة الإسلام في المشرق، ذلك أنها غنية بمعلومات تاريخية دقيقة قلما نجدها في مصادر التاريخ، فعالية مؤرخيها شهود عيان لأحداث أو نقلوا مباشرة عن شهود عيان سبقوهم وحفظوا لنا مؤلفاتهم، وقد أصاب روزنتال<sup>2</sup> حين قال: "...وفي كل كتاب جغرافي تقريبا بعض المعلومات التاريخية" كما أكد<sup>3</sup> على أن هناك من المؤلفات الجغرافية التي تحوي في أغلبها أحداثا مرتبطة بالمصر أو المنطقة التي يقع وصفها، كما أضاف كراتشوفيسكي: "إلا أن عددا من فروع الأدب اكتسب أهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيق، ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخي والجغرافي العربي، الذي اعترف العلماء به منذ

1 - أعلام الجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص 67-68.

2 - علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص 149.

3 - المرجع نفسه.

عهد بعيد بأنه المصدر الأساسي والموثوق به في دراسة ماضي العالم الإسلامي، إذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ أو الجغرافي فحسب، بل أيضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين، وللغويين وعلماء الطبيعة، ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافي على البلاد العربية وجدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها، وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام. وقد يحدث أحيانا أن تمثل المادة الجغرافية العربية إما المصدر الوحيد أو الأهم لتاريخ حقبة معينة لقطر معين<sup>1</sup>

وقد جاءت المراجع تؤكد على أهمية روايات المؤرخ إذا جمع بين الكتابة التاريخية وبين الرحلة في جمع الخبر التاريخي، ويعتبر المسعودي من أهم من مثل هذه الأهمية من خلال كتبه ومؤلفاته<sup>2</sup>، وقد تميز العديد من الرحالة بالجمع بين الدقة في جمع الروايات التاريخية دون الاكتراث للأساطير التي صادفتهم في البلاد التي زاروها، مثل البلاذري والاصطخري واليعقوبي، فضلا عن البيروني والإدرسي وياقوت الحموي وابن جبير<sup>3</sup>، بل اعتبر أحد الباحثين<sup>4</sup> أن القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا، فكان هذا سببا رئيسيا لتصنيف مؤلفات الرحالة والجغرافيين من المصادر الأساسية في البحث التاريخي، واعتبرت الرحلات العلمية القائمة على المشاهدة والمعينة أكثر إفادة لأنها تقرب من الواقع المراد دراسته. ويمكن إحصاء مجموعة من الجوانب التي تثيرها كتب الرحلة والجغرافيا فيما يلي:

## ج/1- الوصف الجغرافي والنشاط الاقتصادي:

<sup>1</sup> - إغناطيوس يوليانونوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، مرجع سابق، ص 17.

<sup>2</sup> - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الأسطورة والحقيقة دراسة تاريخية"، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية الموصل، 2011م (مج 11، ع 1)، ص 260.

<sup>3</sup> - للتوسع والتفصيل حول دقة هؤلاء الرحالة ونماذج تثبت تمحيصهم للروايات التاريخية، ينظر: المرجع نفسه، ص 261-264.

<sup>4</sup> - محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، مكناس: جامعة المولى إسماعيل 1993م، ص 250، 254، 255.

- وصف المدن والحوضر والقرى والبوادي وصفا دقيقا مفصلا، يشمل معلومات عن تاريخها وتاريخ بنائها وأهم آثارها وبنيتها ومختلف الوظائف الموجودة فيها<sup>1</sup>، ويذهب الباحثون إلى أن الكثير من الرحالة سمحوا لنا معرفة أسماء الأماكن<sup>2</sup> مما هي معروفة أو غير ذلك، ومما بقي أثرها واسمها أو لم تبق، وتحديدتها على الخريطة الجغرافية، مما يسمح بتكوين أطلس جغرافي تاريخي حول مدن العالم الإسلامي ومدن الدول المعاصرة آنذاك.
- وصف طرق المواصلات (اعتمادا على البريد) وذلك من جهة طوبوغرافيتها واتجاهاتها والمدن الواقعة عليها، والمسافات الفاصلة بين هذه المدن ومستوى الأمن فيها، فقد حدد لنا قدامة بن جعفر (310هـ/922م أو 320هـ/932م) في كتابه "الخراج وصنعة الكتابة" أقسام العالم الإسلامي والجبالية والبريد وطبع ضمن المؤلفات الجغرافية<sup>3</sup>.
- وصف المظاهر الطبيعية المختلفة من جبال وبحار وبحيرات وأنهار...، ونجد ابن الفقيه الهمداني (أواخر القرن 3هـ/9م) له كتاب "مختصر تاريخ البلدان" وصف به الأرض والبحار والصين والهند وبلاد العرب وغيرها وأفاض في وصف البصرة والكوفة<sup>4</sup>، ويعتبر المسعودي أيضا من أعلام التاريخ والجغرافيا الذين اهتموا بالوصف الطبيعي لما يشتمله الكون من مدن وبحار ومحيطات وجبال وأنهار وجزر...<sup>5</sup>، وقد أخذ المناخ أيضا حقه من الاهتمام وسمحت لنا هذه المؤلفات بمعرفة تأثيرات الطقس على النشاطات الاقتصادية في كل المناطق التي وصفها الرحالة والجغرافيون.

<sup>1</sup> - يعتبر البكري من أشهر الجغرافيين الذين اهتموا بالجانب الوصفي والتاريخي الجغرافي للمدن، فقد أسهب في وصف مدن اليمن وشهرتها العمرانية والتاريخية وحتى الدينية، ينظر مثلا: البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية 2003م/1424م، ج1، ص279-282.

<sup>2</sup> - نقلا عن مقدمة التحقيق: ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية 1417هـ/1997م، ص10-11.

<sup>3</sup> - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص55.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه.

<sup>5</sup> - فرائز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص151.



● تحتل الروايات التاريخية المتضمنة في كتب الرحلة - خاصة كتب الفتوح والمسالك - أهمية كبيرة في التوثيق التاريخي إذا كانت تتعلق بحساب المسافات، وحساب موارد الخلافة والنظم المالية والرسوم والضرائب، وتصنيف الأراضي الزراعية<sup>1</sup> وغيرها من المعلومات التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة التاريخ الاقتصادي والجغرافي خاصة المناطق البعيدة عن الخلافة أو التي لم تقدم لنا كتب الاسطوغرافيا معلومات كافية عنها.

● ذكر النشاطات الاقتصادية<sup>2</sup> من:

الزراعة (ثمار، خضر وفواكه، حبوب مساحات زراعية، منتوجات متنوعة...)

والحرف والصناعات (موادها الأولية، أنواعها، أماكنها...)، فقد ذكر الاصطخري المعادن في الكثير من البلاد مثل مصر، والبحرين وصنعاء وشواطئ عدن، وذكرها في فارس فقال: "وفي بلاد فارس عامة المعادن، الفضة والحديد والإنك والكبريت، والنفط والصفير والزئبق، وبغربي أصبهان معدن الكحل"<sup>3</sup>، كما تحدث ابن رسته في كتابه الأعلاق النفيسة عن أصبهان وخيراتها الطبيعية الاقتصادية مثل: الثمار والمعادن<sup>4</sup>.

العلاقات التجارية (التجارة الداخلية، الطرق التجارية، التجارة الخارجية، المعاملات، وسائل النقل، الصادرات، والواردات...)

● الضرائب والمكوس الشرعية وغير الشرعية: الخراج، الزكاة العشر... أشهرها ما كتبه قدامة المذكور أعلاه في كتابه "الخراج وصنعة الكتابة"

## ج/2- الظواهر الاجتماعية:

1 - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي..."، مرجع سابق، ص 265.

2 - لا تكاد تخلو كتب الرحلة والجغرافية من هذه المعلومات إلا ما كان منها ذو طابع علمي أو هدفه الزيارة والحج.

3 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص 82.

4 - المرجع نفسه، ص 80.

- وصف العادات والتقاليد السائدة في بلد معين من مظاهر الاحتفالات والألبسة وأنواع الأطعمة والأشربة والعلاقات الأسرية وغيرها، وقد كان المقدسي "يعني بالأخبار الطريفة والعادات غير المألوفة"<sup>1</sup>.
- الإشارة إلى طبقات المجتمع، حيث نجد الإدريسي يذكر فئة العبيد وطرق استرقاق الأطفال ودورهم الاجتماعي والاقتصادي<sup>2</sup>.
- المستوى الاجتماعي (الرفاهية، الفقر، الاكتفاء الذاتي، الأمن الغذائي...)، فقد تحدث الإدريسي عن مقياس الغنى لدى بعض التجار من خلال ملكيتهم لعدد معين من الدواب والنقود<sup>3</sup>.
- تعتبر مصادر الرحلة ملاذا لمعرفة الجماعات البشرية والتجمعات القبلية، واستقرارها وهجرتها مما يسهل رسم خريطة لحياة البشرية<sup>4</sup> وأصولها وتأثيراتها الاجتماعية.

### ج/3- الاتجاه الديني والنشاط العلمي:

- الحواضر العلمية: علماؤها، برامج التعليم المعتمدة، المذاهب، المناظرات...، خاصة زمن ازدهار الحضارة الإسلامية فقد ظهر ترتيب الأماكن الجغرافية على حسب حروف المعجم مع إضافة أحداث تاريخية وتراجم مختصرة لأهم الشخصيات العلمية ودورها الثقافي وأثرها العلمي عند وصف كل مدينة، ونجد ذلك واضحا عند ياقوت الحموي (ت620هـ/1223م)<sup>5</sup>.
- مذهب الدولة والمذاهب المعارضة أو المتعايش معها، ويبدو ذلك واضحا في مؤلف ناصر خسرو خلال القرن 5هـ/11م، الذي ألف كتاب سفر نامة حيث صال وجال بين بلاد فارس والهند والصين وبلاد العرب، وزار الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله ما بين 439هـ/1047م

1 - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص57.

2 - للتفصيل ينظر: محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق"، مرجع سابق، ص68.

3 - للتفصيل ينظر: المرجع نفسه، ص68-69.

4 - للتفصيل ينظر: المرجع السابق، ص70-71.

5 - فرائز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص149.

441هـ/1049م، وأعجب برحائها واعتبر أن الرخاء والاستقرار في وادي النيل راجع إلى الدولة الفاطمية ومذهبها الإسماعيلي.

- الطوائف الدينية غير الإسلامية، فقد ذكر الإصطخري مثلاً أن: "بلاد النوبة نصارى"<sup>1</sup>

#### ج/4- الواقع السياسي:

● تذكر مصادر الرحلة والجغرافيا في ثناياها الكثير من المعلومات حول نظام الحكم وتفيدنا بأسماء للحكام ونظمهم وعلاقاتهم، ويصور لنا الرحالة في الغالب مظاهر الأمن والاستقرار أو الحروب والفوضى التي تصادفه أثناء تواجده بالدولة القائمة آنذاك.

● تمكنا هذه المؤلفات من رسم الحدود الجغرافية للكثير من المناطق والأعمال، لمعرفة تصنيفها وتحديد مساحتها فالبحرين التي نعرفها اليوم بمساحة ضيقة، عرفت في القديم بمساحة واسعة امتدت من ساحل البحر شرقاً إلى اليمامة غرباً، ومن البصرة شمالاً إلى بلاد عمان جنوباً<sup>2</sup>.

● شهادات على بعض الأحداث السياسية والعسكرية التي عايشوها: العدل أو الظلم السياسي، المعارك، الصراعات....، ففي رحلاته دون ابن الفقيه الهمداني أن المسلمين لم يكونوا راضين عن أعمال معاوية، لأنه لم يساوي بينهم، فنقموا عليه خصوصاً الفقهاء وأهل التقوى<sup>3</sup>.

● تحدثت كتب الرحلة والجغرافية عن العلاقات بين المسلمين والشعوب الأخرى من خلال الرحلات الدبلوماسية مثل رحلة ابن فضلان لبلاد البلغار، ومن خلال هذه المصادر أيضاً نستكشف الآخر في الحضارة الإسلامية والشعوب غير الإسلامية ونظرة الرحالة إليها، فقد وصلتنا أخبار متنوعة عن بلاد أوروبا والشرق الأقصى في مؤلفاتهم لم ترد في نصوص أخرى، ويعتبر الإدريسي من أهم الرحالة الجغرافيين الذين قدموا لنا معلومات موثوقة ودقيقة حول البلاد الواقعة على حوض البحر المتوسط مثل: فرنسا

1 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص 84.

2 - البكري، المسالك والممالك، ج 1، ص 285.

3 - المرجع السابق، ص 85-86.

وإنجلترا وصقلية...<sup>1</sup>؛ هذا ما جعل رحلة ابن بطوطة تكتسي أهمية كبرى في التأريخ للعلاقات الدولية في عصره، فقد استعرض أقطاب الدول الكبرى التي كانت تهيمن على العالم في عصره وسلاطينها وملوكها من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، ومختلف الصراعات القائمة آنذاك بالإضافة إلى السفارات بين دول العالم ومظاهر السلم المعروفة في ذلك الزمن.<sup>2</sup>

### ج/5- الجانب العمراني:

● يذكر الجغرافيين<sup>3</sup> كثيرا تاريخ بناء المدن، ومواقعها وأهمية تلك المواقع من خلال إبراز شروط التمدن بها، ويتعرضون لأسباب ذلك والعهد التي ترجع إليها، وبعض الوحدات الرئيسية بما خاصة المساجد والحصون والأسوار والأسواق وغيرها، ويعتبر ابن الفقيه الهمداني من بين الجغرافيين الذين تحدثوا عن البصرة والكوفة وأوليتهما في البناء على العهد الإسلامي، وطريقة بنائهما، وخططهما وعرش الشوارع العظمى بهما وغيرها من المعلومات التي تفيد فكر التمدن في العالم الإسلامي<sup>4</sup>، كما أفادنا ابن رسته بطرق البناء في صنعاء والطرق الهندسية التي تستعمل للحماية من الأخطار والأمطار ومواد البناء، وغيرها من المعالم مثل المسجد الجامع والقلعة الموجودة بها...<sup>5</sup>، وأثبتت المراجع<sup>6</sup> أن هذه المؤلفات تفيد الباحث والطالب في معرفة مناطق توفر المياه وعلاقتها بالتجمعات السكنية، وتهيئة واستغلال هذا

1 - حول الإدريسي ودوره في التأريخ لمثل هذه الشعوب ينظر: محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق"، مرجع سابق، ص 58.

2 - نقلا عن مقدمة تحقيق: ابن بطوطة، رحلة، ص 135-140.

3 - القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 622هـ/1225م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، (دت)، ص 4-

8.

4 - أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، مرجع سابق، ص 87.

5 - المرجع نفسه، ص 92-93.

6 - ينظر مثلا: محمد حمزة إسماعيل الحداد، "كتب التاريخ المحلي والرحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة"، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، مارس 2006م (26)، ص 8-115.

العصر في الحياة اليومية، وشق القنوات وإنشاء السقايات وغيرها من المعلومات التي تحملها أقلام مؤرخو الحوليات وكتب السياسة.

**الإشكالات المنهجية:** يتعرض الطالب إلى الكثير من الصعوبات في تعامله مع هذه المصادر وتوظيفها منها:

- تختلط الأسطورة بشكل كبير في مرويات الرحالة للمكان الذي يحاول تصويره، إذ كثيرا ما سيقت حكايات في الثقافة الإسلامية وتم اعتمادها من طرف المؤرخين والباحثين دون تمحيص، وأضحت حقائق تاريخية متداولة ومتواترة بين المؤلفات وعلى لسان الرواة<sup>1</sup>، لذلك من الضروري الوقوف عند الرواية وتحكيم العقل والمنطق عند استعمالها حتى لا يقوم الباحث أو الطالب بخلط الحقائق مع الأساطير الشعبية والروايات الأسطورية الشائعة في ذلك العصر.
- أحيانا يشبع الرحالة خياله بالعجيب من الأخبار الفريد من الظواهر ليضفي طابع التشويق على أوصافه ومروياته<sup>2</sup>، وهذا الأمر يفرض الحذر وغرلة الحقائق منها دون إهمالها كلية<sup>3</sup>.
- من العوائق التي يصادفها الباحث في التاريخ أن طريقة وهدف الرحالة في عرض وصناعة الرواية التاريخية تختلف عما يصبو إليه المؤرخ، فهو لا يتقيد بالتسلسل الزمني، ولا يكتب حسب طريقة الحوليات، ولا يدقق في ذكر إسناد روايته، ويكتفي برواية ما يسمعه ولو من شخص واحد<sup>4</sup>.
- ما يذكر حيني آني لا يمكن تعميمه، فقد يشاهد الرحالة مظاهر فجائية مثل تواجد قطاع طرق أو علماء أو أي ظاهرة معينة أو حرب أو مجاعة فيقدم لنا انطبعا سيئا ودائما عن المكان الذي زاره.
- شرح الظاهرة من جانبها الوصفي لا من جوانبها العميقة التي تمكننا من معرفة خلفياتها وظروفها والقوى الفاعلة فيها، هذا ما جعل بعض الباحثين يؤكدون على أن الإدريسي "لم ينكب على دراسة

1 - نوفل محمد نوري، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي..."، ص 250، 254، 255.

2 - المرجع نفسه، ص 250.

3 - للاطلاع على بعض الروايات التاريخية الصحيحة التي اختلطت بالخرافات والأساطير ينظر: المرجع نفسه، ص 256-258.

4 - المرجع نفسه، ص 253.

كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمع... بل وضع كتابا عاما وشاملا للحضارة على المستوى العالمي"<sup>1</sup>.

- هناك من ينقل ولم يشاهد بشخصه

- شاملة وغير كافية، طابع النسبية: يصف ما يوافق شخصيته ولا يكثرث لما لم يجذب انتباهه.

- من الإشكالات التي قد تعترض الطالب في تعامله مع المصادر، وتشكل أمامه صعوبة بسبب قلة خبرته في التعامل مع هذا النوع من المصادر وهي تناثر المعلومات الاجتماعية<sup>2</sup> بين ثنايا المؤلفات ويحتاج

إلى صبر لجمعها وشرحها وفهمها تم توظيفها في شكل مادة تاريخية قابلة للقراءة والدراسة.

---

<sup>1</sup> - محمد حناوي، "كتاب نزهة المشتاق... " مرجع سابق، ص70.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص67.

## و/ - مصادر الفقه والأحكام

يعتبر الباحثون في الوقت الحالي الكثير من المؤلفات المرتبطة بأحكام الشرع ذات قيمة تاريخية كبيرة، فهي تمكنهم من الاطلاع والوقوف على الكثير من الحقائق التي قد تغفلها كتب الاسطوغرافيا وتركز عليها مثل هذه المؤلفات، خاصة إذا جذبت أنظار الفقهاء الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية وأصلت لها أحكامها بغية تنظيم الحياة العامة في بلاد المسلمين، دون أن تحمل القضايا السياسية التي أخذت جزءاً هاماً من تفكير بعض الفقهاء وأرادوا التأسيس لقواعد شرعية تُسيّر وفقها النظم القائمة، ولأحكام تسير بها وذلك بالاعتماد على أصول الشرع مثل: القرآن والسنة النبوية الشريفة، إجماع الصحابة وتفاعلهم مع القضايا وممارساتهم الدينية والسياسية واجتهاداتهم والقياس الذي يبنى على ذلك وعلى أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل تلك الاجتهادات هي المادة الأكثر قيمة عند الفقهاء باعتبارها مستنبطة من واقع جاء بعد العهد النبوي أي بعد انقطاع الوحي، في مرحلة تمكن فيها المسلمون من توظيف أحكام الشرع وفقاً لمتطلبات ومقتضيات عصرهم.

من هذا المنطلق كان لابد من قراءة هذه النصوص الشرعية بمختلف أنواعها، والتمعن في فتاوى وأحكام الفقهاء والقضاة وغيرهم لدراسة الواقع التاريخي في عصرهم، من خلال رصدهم للمظاهر والقضايا العامة ومحاربتهم لها أو دعواهم للتمسك بها، هذا ما يستدعي معرفة طرق وكيفيات الاستفادة من النصوص الفقهية المختلفة ومناهج توظيفها في الكتابة التاريخية.

## 1/ - كتب الفتاوى والفقه العام:

## 1/1 - مفهوم الفقه:

الفقه هو: "الفهم والعلم ويعني من حيث دلالاته في حقل المعرفة الشرعية: معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة"<sup>1</sup> أو هو "العلم والإدراك المطلق بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها

<sup>1</sup> - معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا: مطابع سلا 1425هـ/ 2004م، م، 19، ص 6475.

التفصيلية"<sup>1</sup>، فالفقه يتناول جميع المسائل التي تنظم حياة الإنسان وتقدم حلولاً للمشاكل التي تعترضه في كل مجالات الحياة وفقاً لما يقتضيه الشرع الإسلامي؛ إذن الفقيه هو الوجهة التي تسلكها مختلف الشرائح لمعرفة أحكام الشرع في بعض القضايا التي تعترضهم في خضم الأحداث التي يعيشونها، سواءً كانوا من العامة أو من الخاصة حتى من السلطان في حد ذاته، وسواءً تعلقت بالعبادات أو المعاملات، أو من النخبة في حد ذاتها، وبهذا إذا تضمنت المصادر أحكاماً عامة مستنبطة من الأصول اعتبرت فقهاً عاماً، لكن إذا جاءت في صيغة سؤال وجواب أصبحت فتوى.

## 2/1- مفهوم الفتوى والقضاء:

الفتوى هو: المصطلح الأكثر شيوعاً واستعمالاً، والأصلح ليضم مختلف الأحكام التي يجيب عنها الفقيه، رغم استعمال مصطلحات أخرى مثل: المسائل، الأجوبة، النوازل...

لغة: اعتبر ابن منظور<sup>2</sup> الفتوى أنها: تبين المشكل من الأحكام، وأصلها من الفتى: "الحديث السنن" وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً.

اصطلاحاً: "الفتوى: هي إخبار بالحكم الشرعي لا على سبيل الإلزام"<sup>3</sup>

بالنسبة للقضاء لا يختلف عن الفتوى سوى في كون الإخبار بالحكم الشرعي على سبيل الإلزام<sup>4</sup> مع التنفيذ، ولم يفرّق فقهاء المغرب بين علم القضاء وعلم الفتيا، وعرفوه بأنه "العلم بالأحكام الكلية مع

1 - وهبة الزحيلي، سبل الاستفادة من النوازل و الفتاوى في التطبيقات المعاصرة، بيروت: دار الكتاب 2000م، ص 9.

2 - ابن منظور، لسان العرب، ج 38، ص 3348.

3 - الخطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط3، بيروت: دار الفكر 1412هـ/1992م، ج1، ص32/ يراجع مقدمة كتاب: المجموع المذهب في أجوبة الإمامين ابن وهب (ت197هـ) وأشهب (ت204هـ)، جمع وتوثيق وتقديم حميد لحمري، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1430هـ/2009م، ص9.

4 - محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1421هـ/2000م، ص: 334.



العلم بكيفية تنزيلها على الوقائع النازلة"<sup>1</sup>؛ فالفتوى إذن رأي فقهي حول المسائل الدينية والمدنية التي تتعلق بحياة الأفراد والأشخاص<sup>2</sup>، والقضاء معالجة لهذه المسائل والقضايا من خلال أحكام يتم تنفيذها وتطبيقها لضمان الحقوق وتحديد الواجبات. وقد استعملت عدة مصطلحات للقصد عن الفتاوى مثل: الأجوبة المسائل والنوازل...، وقد اعتبرها بعض الباحثين تؤدي المعنى ذاته والمقصد الشرعي نفسه<sup>3</sup>.

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الفتاوى تناقش الوقائع التي حدثت في المجتمعات بمختلف أشكالها، الظواهر الاجتماعية، بالإضافة إلى بعض النشاطات الاقتصادية<sup>4</sup> والأسس التي تقوم عليها والنظم المتبعة بها، والأهم من هذا نجد الكثير من القضايا والمسائل السياسية والعسكرية محل نقاش وتأصيل من طرف الفقهاء، خاصة بعد ظهور الفرق والأحزاب والصراعات حول الخلافة وأحقيتها وهذا الأمر الأخير انفصل في الغالب تحت باب خاص يعرف بالسياسة الشرعية سوف يناقش بشكل خاص.

### 1/3- أهميتها في الكتابة التاريخية:

من الطبيعي أن يجد المؤرخ في كتب الفقه معطيات متنوعة، خاصة أنه وجهة لمختلف الفئات والطبقات بالمجتمعات الإسلامية، طلبا لرأي الشارع في كل المسائل التي تعترض الناس خاصة المسائل التي لم تتعرض لها هذه الفئات من قبل وهي المسائل التي نزلت جديدة ولم يتعرض لها الفقهاء من قبل، وهذه من أهم الوقائع التي يهتم بها المؤرخ باعتبارها تحولا حدث في المجتمعات يحتاج إلى دراسة وبحث، بالإضافة إلى هذه النقاط فإن هناك مجالات تاريخية هامة يمكن أن نستغل فيها النصوص التاريخية نذكر منها:

<sup>1</sup> - الونشريسي، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف. محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1401هـ/1981م، ج10، ص-ص: 78-83.

<sup>2</sup> - E.Tyan, "Fatwa" Encyclopaedia of Islam, first Edition, Leiden, E-J- Brill, vol.II, p. 886.

<sup>3</sup> - يراجع مقدمة كتاب: المجموع المذهب، ص10.

<sup>4</sup> - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص101.

من الناحية المنهجية: إن الميزة الأهم بالنسبة للنصوص الفقهية أنها تكون أحيانا مؤرخة ومضبوطة بمجال جغرافي، وتضم شخصيات معينة، معروفة مثل أصحاب السلطة أو التجار، أو الأجانب، أو عامة الناس، كما أنها تفرق بين السائل إن كان رجلا أو امرأة وهكذا، فكل هذه الضوابط تمثل عناصر الحادثة التاريخية، وهو ما يعطي الباحث مصداقية في توظيفها.

من الناحية السياسية والعسكرية: إذا قلنا أن الفقيه هو وجهة فئات متعددة، فإن السلطة واحدة منها، فكثيرا ما نجد السلطان وحاشيته يستفتون كبار العلماء في قضايا تعترضهم ويحتاجون لرأي الشارع فيها، مثل: خوض غمار بعض الحروب واتخاذ مواقف حاسمة تتعلق بالنظام والحكم، حتى أن هناك من الاستفتاءات تحولت إلى عدااء بين السلطة الفقهية والسلطة السياسية وتعرضت من خلالها بعض المرجعيات للمحن والتنكيل وانتهت بعضها بالسجن وغيرها، وخير دليل على ذلك ما حدث بين الإمام مالك والخليفة العباسي المنصور، وما حدث بين الأمام أحمد بن حنبل والمعتزلة على عهد المعتصم بالله.

وعليه تكون المصادر الفقهية ملاذا للباحث لرصد العلاقة بين السلطان والعرفان ويمكن رصد ذلك خاصة ضمن النصوص الفقهية العامة، ولو لم تخصص سلطة معينة أو نظاما بعينه، ويعتبر كتاب "إحياء علوم الدين" من بين أهم المؤلفات التي اهتمت بنقد الأنظمة والمجتمعات بمختلف مواقفها وخططها، وتشريعاتها في مختلف الميادين.

وقد ورد في أجوبة ابن وهب ما يؤكد على وزن السلطة القضائية والإدارية لدى المجتمع وضرورة تقديمها في المناسبات الدينية والاجتماعية<sup>1</sup>.

من الناحية الاجتماعية: يتحدث عن مستوى المعيشة والأخلاق والأهم من ذلك مختلف المصطلحات التي كانت متداولة في المعاملات، والمناصب والطبقات مثل: الشيخ، المعلم...، ذكرت بعض الألبسة والأعياد، والآخر (اليهود والمسيحيين والفرس وغيرهم...) وعلاقاته بالمسلمين ضمن مجتمعات المشرق

1 - يراجع أجوبة ابن وهب ضمن: المجموع المذهب، ص39.

الإسلامي. وبعض العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج<sup>1</sup> والطلاق البدع والخرافات والعلاقات الأسرية والاجتماعية عموماً.

من بين القضايا المهمة التي طرحت في مصادر الفقه ولها دلالاتها في التاريخ الاجتماعي، هي أهمية العنصر القرشي في مجتمعات العالم الإسلامي ومكانته الاجتماعية والدينية، وضرورة تقديمه خاصة إذا كان من أهل الفضل والصلاح والدين<sup>2</sup>.

**من الناحية الاقتصادية:** اختصت الكثير من المصادر بتنظيم النشاط الاقتصادي، بوضع ضوابط وتشريعات دينية وعرفية تتعلق بالخراج والجزية وتحديد أراضي الصلح وأراضي العنوة والغنائم، ومختلف أنواع الأموال (الزكاة، الصدقات...)، ويعتبر كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف (ت182هـ/798م) من بين أهم المؤلفات في هذا المجال، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/838م)، كما تضمنت نصوص الفتاوى أيضاً معلومات هامة عن النشاطات الاقتصادية خاصة المعاملات التجارية والضرائب وتضمنت في ثناياها أدوات الفلاحة وملكيات الأرض<sup>3</sup>، وأراضي السلطان وأراضي العامة والموات، وطرق وآلات السقي وغيرها، من البيانات المتعلقة بالحرفيين<sup>4</sup> وممارستهم لأعمالهم، ومختلف الأحكام التي تنظم علاقاتهم بالمشتريين.

**من الناحية العلمية والثقافية:** تعطينا هذه النصوص معلومات هامة عن أمهات المصادر التي يعتمد عليها الفقهاء كمرجعيات لفتاويهم، بالإضافة إلى معرفة الكم الموجود من المصادر وقيمة التأليف الفقهي المنتشر آنذاك، بالإضافة إلى الاجتهاد أو الجمود الفكري السائد، وأهم من ذلك هو معرفة العلاقات

---

1 - عن بعض قضايا النكاح والطلاق والمعطيات التي تتضمنها للتأريخ الاجتماعي خلال القرن 2هـ، ينظر أجوبة ابن وهب ضمن: المجموع المذهب، ص46-60/ وأجوبة أشهب، المصدر نفسه، ص132-141.

2 - ينظر أجوبة ابن وهب ضمن: المجموع المذهب، ص39.

3 - ينظر المصدر نفسه، ص79-80.

4 - ينظر المصدر نفسه، ص46.

العلمية من خلال المناظرات والمذاهب الفقهية السائدة، والأسئلة التي يبعث بها العلماء إلى بعضهم البعض من مختلف المدن والحوضر الإسلامية.

كما تفيدها المناظرات في قياس مستوى الفكر والأدب والحجاج الذي كان موجودا في عصر الفقيه، ومستوى الأدب والشعر والبلاغة خاصة أنها قاعدة الفقيه في آرائه ومناظرته لأهل المذاهب المناوئة لمذهبه واتجاهه العقدي.

غير أنه لا بد للطالب من الانتباه عند استعمال مثل هذه المعلومات والمصادر لأنه قد تعترضه عوائق منهجية تؤثر على توظيف المعطيات التي استنبطها في بحثه، نذكر منها كالاتي:

- لا بد للباحث أن يكون حذرا فيما يستنبطه من كتب الفقه، فإن ما يكتبه الفقهاء قد يكون نظريا وبعيدا عن الواقع، ومن الأمثلة المشهورة لهذا الخلط ما ذهب إليه بعض الفقهاء من المساواة بين الذميين بمصر في دفع الجزية، وما ذهب إليه فقهاء آخرون من أن ولاية الأمور كانوا يعتبرون في فرض الجزية أن الناس ثلاث مستويات فقط، فيؤخذ من الموسر 48 درهما ومن الوسط 24 درهما، ومن دون الوسط 12 درهما، لكن الوثائق البردية التي ترجع إلى فترة الولاية من فتح مصر إلى مجيء أحمد بن طولون إليها تبين أن الجزية كانت تختلف باختلاف الأشخاص وقلما نجد اثنين يدفعانها متساوية، وتؤكد أن الجزية كانت تدفع حسب ثروة كل ذمي<sup>1</sup>.

- كما أم أن بعض القضايا تناقش بشكل جزئي من طرف الفقيه حسب السؤال الذي طرح عليه، ولا تكون شاملة لما يحدث بشكل كلي فبعض الضرائب لم تذكر في المصادر الفقهية<sup>2</sup>.

- من العوائق التي قد تعترض الباحث هي افتراضية الكثير من المسائل والقضايا وطرحها للنقاش وحتى المناظرة، وقد كره بعض الفقهاء هذه المسألة إلا أنها شاعت بشكل كبير خاصة من طرف الأحناف باعتبارهم أهل الرأي.

- حركية الفقهاء وتنقلاتهم العلمية تجعل صعوبة في ضبط المجال الجغرافي الذي طرحت فيه الفتاوى.

1 - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 102.

2 - المرجع نفسه.

- الكثير من الفتاوى غير مؤطرة بزمان ومكان ولم تحدد فيها الشخصيات، وهو ما قد يؤثر سلبا على الحقائق التاريخية، ويفتح أبواب الآراء والتفسيرات أكثر من ضبط الوقائع.
- من الإشكالات التي تعترض الطالب عموما هي ضيق الثقافة الفقهية عموما، وصعوبة المفردات اللغوية أو الاصطلاحية، سواء ما تعلق بمصطلحات المجتمع التي تتغير من عصر إلى عصر، أو بتطور اللغة ما يلزمه بالاستعانة بعلم اللسانيات.

## 2/- كتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية

إذا قلنا سابقا أن فقهاء العصور الموالية لعصر النبوة قد استطاعوا استنباط القواعد الشرعية، وتوظيفها في تسيير المجتمعات الإسلامية عموما، فإن هناك منها ما اختص في التأليف لصالح القضايا السياسية من خلال وضع أحكام وتشريعات تشبه القوانين والدساتير التي عرفتها مختلف الشعوب - خاصة الحديثة منها - لتنظيم الواقع السياسي أو الاعتراض على ما يحدث فيه أحيانا<sup>1</sup>، وتحديد الموارد المالية العامة ومراقبة المؤسسات القائمة عليه، بالإضافة إلى توجيه السياسة الإدارية وضبط أسس خلق وتسيير الدواوين الجديدة وهكذا، وقد أوجز وأوفى الماوردي لما أراد أن يحدد الهدف من تأليفه كتابه فقال: "ولما كانت الأحكام السلطانية بولاية الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع انشغالهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزم طاعته، ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه، وما عليه منها فيوفيه، توخيا للعدل في تنفيذه وقضائه، وتحريا للنصفة في أخذه وعطائه..."<sup>2</sup>.

قبل الاطلاع على أهمية هذه المصادر بالنسبة للباحث في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، لابد من التعريف أولا بالأحكام السلطانية والسياسة الشرعية.

<sup>1</sup> - يذهب فرانز روزنتال إلى أن آداب السلطان عند العرب والمسلمين مستنبطة من حكم الفرس وخبرات الإغريق ومختلف الشعوب التي سبقتهم، ينظر: علم التاريخ عند المسلمين، مرجع سابق، ص 162.

<sup>2</sup> - أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق نبيل عبد الرحمن يجاوي، بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، (دت)، ص 61.

## 1/2- الأحكام السلطانية:

مصطلح مركب من مفردتين، الأولى الأحكام وتعني: كل ما يفرضه الشارع على أفعال المكلفين، من: واجب وحرام ومندوب ومكروه ومباح، السلطانية: تعني كل الأحكام الشرعية التي ترتبط بالسلطان، فتوجه أفعاله، وتنظم قوانينه، وتحدد واجباته، وتضبط حقوقه مع الرعية ومع الله، وإن كانت الاجتهادات موجهة هنا لمعرفة مفهوم هذا المصطلح فإن الفقهاء قديما والباحثين حديثا جعلوه لا ينفصل عن مفهوم السياسة الشرعية.

## 2/2- مفهوم السياسة الشرعية:

**لغة:** من الفعل ساس الأمر سياسة إذا قام به، والسوس الرياسة، ويقال: انتهت له سياسة قوم إذا مُلِّك عليهم، والسياسة القيام على الشيء حتى يصلحه<sup>1</sup>، وما نلاحظه من خلال هذا التعريف اللغوي أن السياسة تعني ولاية أمور الرعية والقيام على مسؤولية قوم، وتدير أمورهم وإصلاحها. أما من الناحية الاصطلاحية فهي: احترام الحكم والسلطان؛ أي ممارسة السلطة على الناس في المجتمع؛ ومن المفكرين من يعرف السياسة بأنها اجراءات لتحقيق القيم الدينية والاقتصادية في سلوك الناس وعلاقتهم ونظام حياتهم؛ ومنهم من يرى أنها نظريات لتنظيم المجتمع وعلاقات البشر<sup>2</sup>.  
الشرعية: ما شرعه الله لعباده من الدين أي من الأحكام المختلفة، وسميت هذه الأحكام شريعة لاعتبار وضعها وبيانها واستقامتها، وهي موجودة في القرآن والسنة النبوية، أوحى بها الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ليبلغها للناس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج24، ص2149.

<sup>2</sup> - يراجع في هذا التعريف وتعريف أخرى للسياسة: احسان سمارة، النظام السياسي في الإسلام: نظام الخلافة الراشدة"، دمشق: دار يافا العلمية (د ت)، ص 13-15.

<sup>3</sup> - عبد الكريم زيدان، المدخل إلى الشريعة الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون 1425هـ/2005م، ص 38-39.

إذن يمكن تعريف السياسة الشرعية على أنها: تدبير أمور الرعية والقيام بمسؤولية الإصلاح العام للمجتمع، وتحقيق العدل بين الناس وفقاً لما تقتضيه الأحكام التي شرعها الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الرعية الأول من صحابة رسول الله وتابعيهم.

وإذا دققنا في مفهوم الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية، وجدناهما تحققان معنى واحداً، وهي جعل الشريعة<sup>1</sup> مصدراً تستمد منه السلطة قوانينها وقيمتها، وحدودها التي تطبقها بهدف حفظ النظام العام بالدولة، ونستدل هنا أن موضوع كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية هو: "القضاء وطرق الإثبات والسياسة الشرعية في التي يجب على الأمراء والحكام والقضاة أي يسلكوها ويقفوا عندها، ولا يتجاوزوها في كل مكان وزمان، لتحقيق الصلاح للناس وإبعاد الفساد..."<sup>2</sup>.

ولم يكف ابن قيم الجوزية (ت691هـ/751م)، أول من ألف في هذا الموضوع فقد سبقه كثير من أئمة المسلمين وفقهائهم، منهم: الجاحظ (ت255هـ/689م) نصيحة الملوك، الجهشيارى (ت310هـ/922م): الكتاب والوزراء، الماوردي (ت450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المرادي (ت489هـ/1095م): الإشارة إلى أدب الإمارة بالإضافة إلى مختلف المؤلفات في الخراج

<sup>1</sup> - وقد أصاب ابن قيم الجوزية حين قال: "ومن له ذوق في الشريعة وأطلاع على كمالها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلاق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من مصالح: تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها في مواضعها، وحسن فهمه فيها، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة" ينظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1428هـ، ج1، ص7/ وقد ذهب بعض المحدثين إلى ذلك مبرزين كون الشريعة تحمل في مضامينها مختلف القواعد القانونية والخلقية التي تنظم حياة الناس وعلاقاتهم، ولم تتوقف عند الصلات بين الأفراد وإنما شملت الأسس الكاملة التي تقوم عليها الدولة، والحدود التي تضمن الحقوق وتضبط الواجبات...، للتوسع ينظر: علي علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ليبيا: دار الفتح 1390هـ/1970م، ص18-24.

<sup>2</sup> - نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب: ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص60.

والكتابة والدواوين والخطط كالقضاء وغيرها من النظم الإدارية والمالية، وعلى الرغم من أنه لا يمكن إحصاء كل المؤلفات في هذا المجال إلا أن الضرورة العلمية والمنهجية تفرض ذكر البعض منها<sup>1</sup>:

- كتاب "الإمامة والسياسة" فقد صنفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م) ويعرف أيضا بتاريخ الخلفاء ويستفاد منه معرفة طرق انعقاد لإمامة وشروطها وباختصار نقول إنه تحدث عن الواقع السياسي في الفترة الواقعة بين خلافة أبي بكر وهارون الرشيد.

- كتاب «سياسة الملوك» وقد صنفه القاسم أبو دلف أحد قواد المأمون ثم المعتصم وألف عبيد الله بن طاهر والي الشرطة ببغداد رسالة في السياسة الملوكية.

- كتاب أسمه «الوزراء والكتاب» لأبو عبيد الله الجهشياري (ت 331هـ/942م).

- الاحكام السلطانية لابي يعلى ابن الفراء (ت 458هـ/1065م)

- كتاب «الإمامة والسياسة في سير الخلفاء ومراتبها» لابن حزم الظاهري (ت 456هـ/1063م).

- "التبر المسبوك في نصائح الملوك" للإمام أبو الغزالي (ت 505هـ/1111م)، ألفه بالفارسية لمحمد بن ملك شاه السلجوقي.

- "سراج الملوك" لأبي بكر محمد الطرطوشي المالكي رحمة الله (ت 520هـ/1126م).

- "أخبار الوزراء" لإبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب (ت 692هـ/1292م)، له كتاب في عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح في الوزراء.

- كتاب «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف ب ابن الطقطقي (ت 709هـ/1309م).

- كتاب "الحسبة في الإسلام" لتقي الدين بن تيمية (ت 728هـ/1327م).

<sup>1</sup> - للاطلاع على أشهر الكتب التي ألفت في هذا المجال ينظر: عبد القادر أبو فارس، القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام

السلطانية، بيروت: مؤسسة الرسالة (دت)، ص 14-34.



- كتاب "تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام" للقاضي برهان الدين بن فرحون المالكي (799هـ/1396م)

- الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي (ت1065)

والملاحظ أن أغلب المؤلفات مارس أصحابها مهاماً إدارية، أو تولوا مناصب عليا في الدولة أو كانوا من مقربين من السلطة، فالماوردي ألف كتابه وهو أحد أعمدة السلطة في بغداد فقد كان مقرقا من الخليفين العباسيين القادر بالله (381-422هـ/991-1030م) والقائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م)، أما الجهشيارى فكان وزيراً للخليفة العباسي المقتدر.

### 3/2- أهميتها في الكتابة التاريخية:

للمؤلفات السلطانية أهمية واسعة في رصد الواقع السياسي وفكره في العصور الإسلامية المشرقة، بالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية والاجتماعية المتناثرة بين ثنايا نصوصها، ويمكن الإشارة إلى البعض منها، كالآتي:

### في المجال السياسي والإداري:

- من خلال قراءة هذه المؤلفات قراءة دقيقة يمكنها أن تفيدينا في الوقوف على العلاقة بين الحاكم والمحكوم ومدى تطبيقات مبدأ العدالة على الرعية، مع الوقوف على حكم الشارع ورأي النخبة وحتى الوعي السياسي ومبدأ المعارضة، والأهم من ذلك هو فقه الواقع السياسي الذي يعكسه موقع المؤلف من السلطان ومن النظام السياسي والإداري عموماً<sup>1</sup>.

- تمكنا مصادر الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية من رسم فكرة واسعة ودقيقة عن التنظيمات الإدارية القائمة في عصر دولة معينة تحدث عنها المؤلف، خاصة الدولة التي كانت قائمة في عصره، فهذه المصادر تقدم لنا صورة عن أهل السيف والقلم ومهامهم الشرعية والدينية ومراتبهم وعلاقتهم بالسلطان؛ فالجهشيارى مثلاً فصل في الكتابة وذكر بشكل كرونولوجي من تولى هذا المنصب منذ عهد

<sup>1</sup> - للتوسع حول هذا الموضوع ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2014م.

الخلافة الراشدة، كما سلط الضوء على حلقة هامة في تسيير الدول الإسلامية في عهده خاصة وهي حلقة الوزراء والكتاب مبينا أسماءهم وتاريخ توليتهم أو تنحيتهم، وعلاقتهم بالسلطة من جهة وبالرعية من جهة أخرى، ولم يهمل شريحة الولاة والعمالات التي مارسوا بها أعمالهم وسلطاتهم وحتى أخلاقهم وسلوكياتهم<sup>1</sup>، وغيرها من المعلومات التي قد يجد الطالب القليل منها في كتب الحوليات والتاريخ العام لكن لا يمكن أن يجدها مستفيضة إلا في مصادر الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية.

- تعطينا هذه المؤلفات قدرة الأفراد في الحضارة الإسلامية - نخبة أو سلطة - على استيعاب أحكام الشرع وتحويلها إلى فكر يتماشى مع الواقع ومتطلبات الحكم والسياسة، فنجد أحكاما نظرية تنظم الحكم وتولي المناصب وتضع شروطا لكل فئة من فئات الجهاز السياسي والإداري وغيرها من المعطيات التي تهمشها المؤلفات الإخبارية.

### في المجال الاجتماعي والاقتصادي:

لا يمكن الاستغناء عن هذه المصادر في دراسة النشاطات الاقتصادية والسياسة المالية خاصة، فهي تقدم لنا معلومات عن تنظيم عملية الخراج وشروطها وأحكامها الشرعية، ومختلف الغنائم العائدة من عمليات الفتح وكيفية تقسيمها وحصص بيت المال منها، بالإضافة إلى الضرائب والمغرم الشرعية، والمعادن<sup>2</sup> وكيفيات استغلالها وإقطاعات الدولة وغيرها من المعلومات التي تساعد الطالب على معرفة النظام الاقتصادي ومقارنته بالسياسة المالية والاقتصادية من خلال مصادر أخرى.

أما من الناحية الاجتماعية ففي هذه المصادر معلومات متناثرة حول مرتبات العمال وأنواع الحدود المرتبطة بالآفات الاجتماعية والجرائم وأنواع المظالم<sup>3</sup> التي يتعرض لها العامة والنظام العام ومستوى الفقر والغنى وغيرها من الإشارات التي تثري البحث في واقع المجتمع وطرق الحفاظ على الاستقرار به.

<sup>1</sup> - للتفصيل ينظر: الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، القاهرة: شركة الأمل للطباعة والنشر 2004م.

<sup>2</sup> - للتفصيل ينظر باب في ولاية الصدقات، باب في قسم الفيء والغنيمة، باب في وضع الجزية والخراج...: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 186-238.

<sup>3</sup> - للتفصيل ينظر مثلا: باب في أحكام الجرائم، باب في أحكام الحسبة: المصدر نفسه، ص 299-340.

### 3- مؤلفات الحسبة

تعتبر الحسبة خطة من الخطط الإدارية التي أخذت حيزاً هاماً ضمن اهتمامات مؤلفي الأحكام السلطانية، واعتبروها من بين التنظيمات التي تحقق العدل وتمنع الغش والمنكرات، وهو الأمر الذي أكده الماوردي حين تحدث عن المحتسب فقال: "أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها...<sup>1</sup>".

لكن الكثير من المؤلفين خاصة ممن كانت لهم تجربة وولاية لهذه الخطة لم يكتفوا بالطابع النظري الفقهي الذي شرع لمهامهم، وإنما عملوا على كتابة مؤلفات خاصة بهذه الخطة وفصلوا في مفهومها وموقعها من الشرع وشروطها ومهام المحتسب... وغيرها من المسائل التي تأصل لهذه الخطة. ونظراً لكون المحتسب هو الآخر جزءاً من منظومة اقتصادية وإدارية تتفاعل مع الواقع وتراقبه وتنقل ما يحدث فيه، وما لا يجب أن يحدث إذا كان يخالف المنظومة الدينية والتشريعية التي تضبطه؛ فإن كتاباته وتشريعاته ونقله للواقع يعطي كتب الحسبة أهمية لا يمكن للباحث في التاريخ أن يستغني عنها خاصة فيما تعلق بالتاريخ للنشاطات الاقتصادية والتنظيمات العمرانية.

### 3/1- مفهوم الحسبة:

أخذت الحسبة معانٍ متعددة من الناحية اللغوية لكنها مرتبطة بها من الناحية التطبيقية، فابن منظور<sup>2</sup> يرجعها إلى: الحساب الكفاية، العد، طلب الأجر...<sup>3</sup>، ورغم تعدد الاشتقاقات اللغوية للمصطلح إلا أنها لم تخرج عن نطاق محاسبة الأفراد على تصرفاتهم، التي تخل بالشرع والنظام العام داخل المدينة وارتبطت بالأسواق خاصة لأنه الوحدة العمرانية التي تلتقي فيها مختلف الفئات والأجناس وتكثر فيه التجاوزات.

1 - الماوردي، الأحكام السلطانية، ص: 318.

2 - لسان العرب، ح10، ص: 866.

3 - من معاني الحسبة اللغوية: طلب الأجر والثواب من الله والاكتماء به، حسن التدبير في الأمور والنظر في مآلاتها، الإنكار على من يشمله نظره، الاختيار لكل مشروب ومأكل وملبوس، للتفصيل ينظر مقدمة تحقيق كتاب: أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي، أرجوزة في علم الحسبة، تحقيق محمد فرقاني، قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر 2014م، ص24.

لم تختلف المصادر والمراجع كثيرا في التعريف بالحسبة ومهام متوليها، كما أنهم ربطوها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمبدأ أساسي قامت عليه هذه الخطة<sup>1</sup>، فقال الماوردي: "هي أمر بالمعروف إذا أظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله"<sup>2</sup>، أما ابن خلدون فلم يخالف هذا التعريف فقال: "أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين"<sup>3</sup>.

لا بد من التنبيه إلى أن الحسبة تختلف عما يقوم به العامة والخاصة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي خطة إدارية تابعة للسلطة السياسية، وتستمد شرعيتها من السلطان أو الخليفة أو الأمير<sup>4</sup>، لها وظائف وحدود معينة تطبقها وفقا لما حددته كتب الأحكام السلطانية، فليس كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمحتسب بل يجب أن تتوفر شروط لذلك<sup>5</sup>.

يأخذ المحتسب أهمية في كبيرة في التنظيم الإداري والنشاط الاقتصادي في مدن المشرق الإسلامي، خاصة أنه ينزل إلى الأسواق بنفسه ويعمل على مراقبة الأسعار والأطعمة، والحوانيت من حيث ترتيبها ونظافتها، بالإضافة إلى المحافظة على الآداب والأخلاق ضمن الوحدات العمرانية، فيمنع التعدي على الممتلكات الخاصة، ويضمن الحرية والأمن لأهل الأزقة والخطط، وذلك بقطع الطريق أما الفساد والفجار فلا تفتح لهم دار خمر وفجور ويمنع تجولهم بها، ويحاسب الناس إذا توسعوا على حساب الطرقات العامة، أو بصفة تحدث الضرر على الجيران وساكنة المدينة عموما، ومن هذا المنطلق تأتي كتاباته وما نقله لنا من الواقع الذي عايشه مادة دسمة للكتابة التاريخية عن حضارة المشرق.

1 - الماوردي، الأحكام السلطانية، ص: 318/ ابن تيمية، الحسبة، تحقيق عثمان اللحام، ط1، بيروت: دار ابن حزم 1424هـ/ 2004م، ص 55-60.

2 - الأحكام السلطانية، ص 318.

3 - المقدمة، بيروت: دار الفكر، 1422هـ/2002م، ص 219.

4 - محمد فرقاني، في مقدمة تحقيق: أرجوزة في علم الحسبة، ص28.

5 - عن شروط المحتسب ينظر مثلا: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص319.

### 2/3- أهميتها في الكتابة التاريخية:

يمكن الاستفادة من نصوص الحسبة في عدة مجالات منها:

#### المجال السياسي والإداري:

- يعبر التأليف في هذا المجال عن أهمية المراقبة، ودورها في فترات ضعف الدول أو في أوج قوتها، وعن صورة المؤسسات الإدارية وفعاليتها ضمن النظام السياسي القائم.
- الخطاب الوارد في المؤلفات يعطينا صورة عن النظام القائم، فكلما كانت لهجة المؤلف فيها نوع من السلطة وتعدد الصلاحيات التي تمنح للمحتسب، دل ذلك على اهتمام السلطة بهذه الخطة وحرصها على تحقيق الأمن والعدل، بينما إذا وجد نوع من التذمر في لهجة المؤلف لاحظنا أن النظام القائم لا يعطي أهمية للحسبة وتطبيقاتها وهذا يدل على ضعفه في كثير من الأحيان.
- تبرز بعض المؤلفات هيكلية هذه الخطة في حالة وجود أمناء وتحديد أساليب للعقاب والتأديب وغيرها، أي أن الباحث في مجال التنظيمات الإدارية والدواوين يمكنه رصد بعض الهياكل والخطط الموجودة في الدولة القائمة خلال عصر المؤلف، خاصة إذا أهملتها المصادر الأخرى.

#### في الجانب الاقتصادي:

- لمؤلفات الحسبة دور هام في دراسة النشاط الاقتصادي ومعرفة الواقع بعيدا عن الطابع النظري الذي تتصف به بعض المصادر التي تتحدث عن المعاملات وشروطها من الناحية النظرية، فالباحث في هذا التخصص تساعده هذه الكتب في:
- رصد حالة الأسواق في عصر المؤلف والعصور القريبة منه، من حيث موقعها وتنظيماتها، وترتيباتها والقوانين التي تسري فيها، كما تمكن الطالب من معرفة نظام التسعير في أسواق المدن ونظام المقايضة، وطرق التبادل بين البائع والمشتري.
- الوقوف على حالات الغش وطرقه التي تمارس في الأسواق من طرف الباعة، وأساليب العقاب والتأديب ومدى تطبيقها في الأسواق.
- أنواع الأطعمة والأشربة التي تباع في الأسواق والضوابط التي تحكمها.

- طرق البيع وأماكنه الأخرى في المدينة ودور المحتسب في تنظيمها.
- الحرف والمهن السائدة وانتشارها، وبعض الإشارات حول طبيعتها وطرق ممارستها، والتنظيمات المتعلقة بها.

- النقود المتداولة، مسؤولية صنعها ومراقبتها، وطرق الغش فيها، وكيفيات محاربتها.

### في الجانب الاجتماعي والعمراني:

- اعتبرت كتب الحسبة موردا هاما وغنيا لكتابة التاريخ الاجتماعي للشعوب الإسلامية، ولفهم طبيعة المعيشة وسبلها ووسائلها، بل اعتبرها بعض الباحثين المصدر الأساسي الذي يمكننا من فهم طبيعة الأحداث وسيورتها<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس نذكر بعض الميادين الاجتماعية التي تفيدنا بها هذه المؤلفات:
- معرفة الحياة الاجتماعية العامة، من خلال الوقوف على مظاهر الأخلاق أو انتشار الآفات.
- معرفة الآداب العامة ودور المحتسب في الحفاظ عليها.
- التطرق إلى أنواع الآفات الاجتماعية والمظاهر غير الأخلاقية في مجتمع المحتسب، والضوابط الشرعية التي يعمل من خلالها على محاربتها والتخلص منها، وطرق التأديب على التجاوزات الشرعية.
- الوقوف على العلاقات الاجتماعية ضمن المجال العمراني من خلال: منع الاعتداء على الحق العام مثل التوسع على حساب الطرقات، والأوساخ التي ترمى في الأزقة والشوارع وأحيانا أمام المساجد، بالإضافة إلى منع صرف المياه نحو الشوارع وتسهيل حركة المرور خاصة فيما بين أصحاب الأحمال وعموم المارة، بالإضافة إلى منع التعدي على الممتلكات الخاصة واستعمال حقوق الغير مثل جدرانهم ومساحاتهم الخاصة، أو فتح أبواب جديدة مقابلة لأبوابهم...، وكل أنواع الضرر التي تحدث بين المستفيدين من مرافق المدينة.

<sup>1</sup> - محمد مصطفى زيادة نقلا عن تصدير كتاب: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام بنشره السيد الباز العريني بإشراف محمد مصطفى زيادة، القاهرة: اللجنة القومية للنشر والترجمة 1365هـ/1946م.

- العمل من أجل منع الاختلاط والفصل بين الجنسين، وتأديب كل من يفعل شبهة أو يقع فيها فيعطينا بذلك صورة عن مدى نجاعة التنظيم الإداري في الحفاظ على تماسك المجتمع وذلك بكسر آنية الخمر وغلق دور الجور وإسكان غير الصالحات بين الصلحاء والأخيار.

- تعطينا هذه المصادر معلومات تاريخية هامة عن بعض العادات والتقاليد والمظاهر غير الصحية في مجتمع المحتسب وعصره (خروج النساء للأسواق، بعض الاحتفالات والأعياد، العلاقات الأسرية...)، بالإضافة إلى المصطلحات التي تستعمل في ذلك الوقت مثل: الآنية، الميزان.

**العوائق المنهجية:** هناك العديد من الإشكالات التي يواجهها الباحث عند تعامله مع مثل هذه المصادر، نذكر منها:

- الطابع النظري الشرعي لكثير من القوانين والتشريعات فيجد الباحث نفسه أمام مادة يصعب توظيفها بشكل مطلق، وإنما يجب عليه مقارنتها بنصوص أخرى تشير إلى وجودها في المجال الجغرافي الذي يقوم بدراسته.

- استعمال أمثلة منقولة من مصادر أخرى فيظن الباحث أنها واقعة بعصر المؤلف.

- غياب الإشارات إلى التطبيق الفعلي لهذه القوانين ونتائج ذلك على ذلك العصر والمجتمع.

- قلما يربط لنا المؤلف بين الواقع السياسي والنشاطات الاقتصادية، ليتمكن الطالب أو الباحث من رسم فكرة تاريخية متكاملة، من خلال فهم العلاقة بين السلطة والتطور الاقتصادي أو تدهوره.

## ز- المصادر الأدبية بين الخيال وميزان النقد التاريخي:

اصطبغت الحضارة العربية بالذوق الأدبي حتى قبل مجيء الإسلام، وسرى الشعر -خاصة- والنثر منها سريان الدم في عروق الإنسان، فكان لسان وقلم فكرها وإبداعاتها الفنية والعلمية أيضا، ولم يتوقف عند النخبة بل كان أيضا لغة العامة، وقد كانت الفصاحة والبلاغة ميزان تصنيف الأشعار وذيوعتها بين الناس، حتى أن كبار الشعراء تنافسوا في استعمال الخيال الأدبي والمحسنات البديعية والأساليب الإنشائية، وتركوا لنا كلمات من ذهب وإبداعات فنية خلدها الفكر والتاريخ، وإن كان موضوعنا ليس البحث في الأدب في حد ذاته، وإنما القصد موجه نحو إدراك هذه الثروة العلمية وتوجيه أقلام البحث التاريخي نحو استغلالها وتوظيفها في الكتابة التاريخية.

### 1- الأدب وآثاره في مجتمعات المشرق الإسلامي:

اهتم العرب بالشعر منذ القديم، وكان الموروث الأساسي الذي عبر عن فكرهم ودينهم، وحتى طبيعة حياتهم في بيئاتهم ومجتمعاتهم، بما فيها من عادات وأفكار وسياسات في تنظيم وتسيير حياتهم، وقد استعمله المليح والقيح منهم فتضمن كل أنواع العبارات والمفردات وعبر عن مختلف المظاهر حتى الحروب في العصر الجاهلي وصلتنا عن طريق الأبيات التي تغنى بها المنتصرون أو تأسى بها المنهزمون، حتى أنه أعتبر "ديوان العرب"<sup>1</sup> ومصدر معرفة مآثرهم ودراسة تاريخهم وحضارتهم؛ ولما جاء الإسلام لم ينتقد هذا الأسلوب في التعبير عند العرب وإنما جاء في القرآن ما أعجز العرب -وهم أهل بلاغة- من معاني تضمنتها آيات الذكر الحكيم واستعمل مصطلح الشعراء اسما لإحدى السور القرآنية، ولم يكن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ببعيد عن اللغة السليمة والمفردات المعبرة والجمل الموزونة وزنا لغويا سليما، وبقي العرب بعد إسلامهم يسيرون وفق سليقتهم في توظيف الشعر والنثر البليغين في التعبير

<sup>1</sup> - يعتبر السيد عبد العزيز سالم الشعر ديوانا للعرب ومصدرا هاما للعصر الجاهلي رغم الشكوك والادعاءات التي تذهب إلى أنه تعرض للتغيير والتزييف، ويقول أن من فعلوا ذلك حرصوا على تقليده ليلا يكتشف أمرهم، للتوسع ينظر: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2010م، ص235.



عن محتاجاتهم وأفكارهم، ولعل وجود حسان بن ثابت كشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم ومعبرا عن صفاته وعصره وغزواته خير دليل على اعتماد النهج الأدبي وتثبيته في المجتمعات الإسلامية.

واتباعا لهذه السليقة فقد تطور الأدب - شعرا ونثرا- في العصور الموالية وتوسع باتساع رقعة الدولة الإسلامية، وتنوعت موضوعاته حسب التطورات السياسية والثقافية الاجتماعية للشعوب والمجتمعات في العصر الإسلامي الزاهر، وتقلد الشاعر والأديب مراتب سلطانية هامة في الدولة، باعتبارهم نخبة وفئة تساهم تسيير الإدارة وتطوير فنون الحكم، وتساهم بقلمها في تنظيم الدواوين والخطط خاصة الكتابة والوزارة ومرافقة الخلفاء وحاشيتهم إثر ممارستهم لمهامهم السياسية، ويعتبر الجاحظ بمختلف مؤلفاته خير نموذج عن هذه الفئة فقد جاءت كتاباته تنمُّ عن سعة في الفكر والبلاغة والتواصل مع السلطة يبدو ذلك من خلال المواضيع التي تطرق إليها في: الحيوان، البيان والتبيين، التاج في أخلاق الملوك، التبصر بالتجارة.

كما كان الشعراء والأدباء عموما يتحدثون عن عصرهم ويتغنون بحياتهم العامة وحتى الخاصة، بما تشمله من الثورة ضد الحكم عموما، أو انتقاد الولاة والعمال وأو التقرب منهم، بالإضافة إلى وصف الحياة الاجتماعية وملذات الحياة أو ضنك العيش، وتفشي الآفات والفساد الأخلاقي أو الزهد والابتعاد عن ملذات الحياة، واستمر الأدب في عطائه حتى كون ثروة هائلة من المؤلفات أخذت حظا وافرا من الاهتمام من طرف المستشرقين أو المختصين في الأدب والتاريخ وعلم الاجتماع والسياسة وغيرها، ولا يمكن احصاء هذا الكم الهائل من المؤلفات<sup>1</sup> وإنما الإشارة إليها كافية ليدرك الباحث في تاريخ وحضارة المشرق وجودها وضرورة الاستفادة منها.

من بين المصادر التي أخذت أهمية واسعة في الأدب العربي<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - اهتم الكثير من الباحثين بدراسة هذه المؤلفات والبحث في مستوى الأدب وتطوره عبر العصور الإسلامية، منها: كارل بروكلمان في كتاب تاريخ الأدب العربي.

<sup>2</sup> - ينظر: سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 98-100/ السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 237.

- الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف.
- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني
- ابن الأنباري: الألبا في طبقات الأدباء
- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء
- ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق
- ابن عبد ربه: العقد الفريد
- ابن الكلبي: الأصنام
- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب
- أبو الريحان البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر
- التنوخي: الفرج بعد الشدة
- الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء
- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا
- الصولي: أدب الكتاب
- محمد بن يزيد المبرد: الكامل

## 2- أهمية المصادر الأدبية في الكتابة التاريخية:

للمصادر الأدبية أهمية في الاطلاع على الظواهر التاريخية في مجتمعات المشرق الإسلامي خلال العصر الوسيط، ويمكن إدراك ذلك من خلال الأفكار التالية:

### من الجانب المنهجي:

- لا شك أن كتب الأدب تضمنت ثروة علمية من القصص والأخبار التي تكشف لنا عن جوانب كثيرة من حياة الشعراء والأدباء وغيرهم من الناس، كما تكشف لنا عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية<sup>1</sup>.

1 - عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مرجع سابق ص30.

- تزداد أهمية نصوص الأدب كلما كان صاحبها شاهد عيان عن الحدث الذي ينقله.
- كتبت بعض الكتب التاريخية شعرا أو رجزا أو نظما كما يقال، وهي فائدة أدبية تاريخية مهمة، تذكر لنا أسماء الخلفاء، ومن حوله من الرجال، وصفاتهم وطبيعة حكمهم وغيرها من المعلومات حول النظام السياسي القائم، بالإضافة إلى أسماء بعض الأماكن، والمصطلحات التي تدل على الإدارة والخطط والمجتمع ووضعيته...، نذكر منها: الشمسي محمد بن أحمد الباعوني كتب أرجوزة بعنوان: "تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء"، كما كتب ابن كثير واحدة عن العباسيين في آخر كتابه "البداية والنهاية"، وابن دانيال ألف أخرى حول قضاة مصر نقلها السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة"<sup>1</sup>.

### في المجال السياسي:

- هناك شاعر البلاط الذي يعتبر لسان حال للوضع السياسي، قد يعطينا معلومات نفتقدها في المصادر التاريخية التي كانت بعيدة عن الأحداث.
- قد يكون الأديب معارضا فينقل لنا سلبيات الوضع السياسي القائم آنذاك.
- أوصل الأدب إلينا صورة عن أحداث عسكرية (حكم، ولاية عهد، معارك...) فقد قدمت إلينا قصيدة: فتح الفتوح لأبي تمام صورة عن محاورة المعتصم لرجال بلاطه، وشورى المنجمين بعدم الإقدام على هذه المعركة، ومخالفة الخليفة لأرأيهم، وعظمة الفتح والانتصار ضد الروم في عمورية.
- كان أغلب المقربين من السلطة أدباء فجاءت كتاباتهم الإنشائية ثروة مصدرية مهمة لكتابة التاريخ.
- تسرد لنا كتب الأدب نواذر وقصصا منسوبة إلى شخصيات معروفة في التاريخ الإسلامي، مع ضرورة الحذر والانتباه لأن كثير من هذه القصص تتكرر في كتب الأدب وتنسب إلى شخصيات

<sup>1</sup> - للتوسع في مجال استعمال الشعر والنظم في الكتابة التاريخية ينظر: فرانز روزنتال، علم التاريخ، مرجع سابق، ص 241-255.

مختلفة<sup>1</sup>، ومع ذلك فكتب الأدب غنية بكم هائل من القصص التي تهدف إلى الإمتاع والتسلية والمؤانسة<sup>2</sup>، فيكون لزاما على المؤرخ قراءتها بمنهج ناقد دون إهمالها بشكل تام.

- يمكننا الأدب خاصة الشعر من استكشاف التيارات الفكرية والمذهبية السائدة فهو سلاح سياسي يمكننا من تفسير بعض الأحداث<sup>3</sup>، خاصة اتجاه صاحبه بالضبط فهناك من لم يصرح بذلك أو أهملته المصادر التاريخية لكن جاء فكره وشعره ليبرز دوره ضمن الخطاب السياسي أو الاجتماعي السائد آنذاك.

### في المجال الاجتماعي:

- الشعر الاجتماعي يعبر عن واقع المجتمع وإن لم يذكر شخصيات حقيقية غير أن الأديب يعبر عن واقعه ولا يمكنه تجاوزه وإدراج مظاهر غير موجودة أو معروفة آنذاك، وإدراك عصر غير عصره.
- تعتبر الكتب الأدبية معين لمعرفة الحياة الاجتماعية في العصور الإسلامية الوسطى، خاصة من "نواحي الذوق والعادات، والمقاييس الخلقية والمثل العليا، ومستوى المعيشة، والأعياد وأساليب التسلية، وأحوال المدن وغيرها من النواحي الاجتماعية"<sup>4</sup>.
- "الشعر مصدر هام يعين الباحث على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنتزهات وبرك ومينيات، وكثيرا ما يتضمن أسماء مواضع تعين أيضا على تحديد المعالم الهامة للمدينة المراد دراستها... ويصف ابن قلاؤس السكندري (ت565هـ/565م) قصر بني خليف من قصور الاسكندرية، وكان قصرا راسخ البناء، عظيم الارتفاع، قد رسا بناؤه وسما ارتفاعه..."<sup>5</sup>

### الجانب العلمي والثقافي:

- 
- 1 - ينظر: سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص98.
  - 2 - ينظر: كلود كاين وجون سوفاجيه، دراسة مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص82.
  - 3 - فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي 2000م، ص136.
  - 4 - سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص98.
  - 5 - السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص236، 237.

- المواضيع التي يناقشها الأدب تعبر عن المستوى الثقافي واتجاهات الكتابة آنذاك.
- الكم المؤلف يعبر عن قيمة العلم والفكر والأدب آنذاك.
- تعطينا هذه المؤلفات فكرة عن المستوى اللغوي واستعمال المفردات الجديدة التي تعبر عن الانفتاح والتأثر بالحضارات الأخرى.

كما أنه تصادف الباحث مجموعة من العوائق المنهجية منها:

- لا نستطيع الاستفادة من النصوص الواردة ضمن المصادر الأدبية في الوصول إلى نتائج علمية مقبولة إلا إذا تعاملنا معها بالمنهج العلمي الذي يعتمد على الاستقراء الكامل والتحقيق والتمحيص، وتحكيم العقل والمنطق في قبولها أو ردها<sup>1</sup>.
- يقول أحمد أمين<sup>2</sup>: "فإن انت قرأت كتاب الأغاني، وتنقلت في صحفه من ضرب من اللهو إلى ضرب، أو قرأت ديوان أبي نواس فرأيت أكثره خمرا ومجوناً، فلا تظن أن ذلك يمثل حياة العصر بأجمعها، وإنما ذلك يمثل ناحية واحدة من نواحيها المتعددة ووجوهها المختلفة، وعذر الأغاني أنه ألف في طبقات المغنين، والمغنون في كل عصر موطن اللهو وبيئة المجون"، كما ذهب غيره من المفكرين إلى أن كتاب الأغاني تضمن أباطيل من الصعب الاعتماد عليه في تكوين صورة صحيحة عن حياة المجتمعات والأفراد في العصر العباسي<sup>3</sup>.
- "ما يؤخذ على هذه المؤلفات جميعها أنها لا تراعي الدقة في توثيق الأخبار، فكثيراً ما تنسب حكايات الأدب الشعبي المتداولة إلى شخصيات بعينها، وتقدمها كقصص تاريخية حقيقية، وهو ما جعل من الخليفة عمر والحجاج شخصيتين شبه أسطورتين، فقد أبرزت الروايات شخصيتاهما بحجم أكبر من الطبيعي، ومن ثمة ينبغي على المؤرخ أن يقف من تلك القصص موقفاً نقدياً صارماً وأن

1 - عبد الله بن سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، مرجع سابق، ص30.

2 - ضحى الإسلام، القاهرة: مكتبة الأسرة 1997م، ج1، ص 144.

3 - عبد الله بن سالم الخلف، المرجع نفسه، ص33-36.

ينتبه إلى الاستخدام غير المقصود للمفارقات التاريخية وأن يقارن بانتظام بين ما يصادفه في مصدر من المصادر، وما هو موجود في المصادر الأخرى<sup>1</sup>.

من خلال ما تقدم نستنتج أن الطالب لهذا التخصص أو الدارس عموماً يتوجب عليه ألا يهمل المصادر الأدبية بمختلف أشكالها، فالشعراء والقصاصون تصدروا مكانة هامة في عصورهم، وتولوا مناصب عالية نظراً لخبراتهم وعلمهم وثقافتهم، وقد كان لهم وزن جعل السلطة تقربهم والمجتمع يقدمهم ويأخذ بآرائهم في كثير من المواقف، هذا من جهة ومن جهة أخرى نؤكد على أن هؤلاء هم قلم ولسان عصرهم فمهما بلغ خيالهم لن يتعدى موجودات ومظاهر عصرهم وعاداتهم وتقاليدهم وفكرهم عموماً، لكن على كل من يستغل هاته النصوص أن ينتبه مع مفرداتها ومبالغاتها، وعليه أن يغربلها قبل استعمالها كمادة تاريخية تسد الكثير من الثغرات في التاريخ الاجتماعي لشعوب المشرق الإسلامية خاصة.

---

<sup>1</sup> - كلود كاين وجون سوفاجيه، دراسة مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع نفسه، ص 82.

## ح/- مصادر العلوم العقلية وأهميتها في التأريخ للنشاط العلمي والفكري في المجتمعات المشرقية:

أنتجت الحضارة الإسلامية نظريات علمية ومساهمات دقيقة في مجال العلوم العقلية، وأخذ علماءها شهرة واسعة في أقطار المعمورة، ولم تنته مجهوداتهم في ذلك الوقت وإنما تركوا لنا مؤلفات وكتبا هامة في مختلف المجالات، الطب، الكيمياء، البصريات، الفلك، الهندسة، الرياضيات، الصيدلة، الفلسفة، المنطق، الميكانيك...، ومازالت إلى غاية الوقت الحالي ملاذ الباحثين والطلبة ليقفوا من خلالها على المستوى العلمي الذي وصل إليه المسلمون في العصر الإسلامي الزاهر.

ليس بحثنا هنا لدراسة مؤلفات العلوم بقدر ما كان الهدف هو معرفة أساليبها وكيفيات التعامل معها وإعطاء صورة عن تاريخ العلوم آنذاك.

من الضروري الاعتراف بدور الترجمة كمرحلة أولى وأساسية لانتقال العلوم العقلية إلى الحضارة الإسلامية، ومحاولة مهمة لاستيعاب موروث الحضارات السابقة لها في هذا المجال، فقد اهتم الأوائل بنقل المعارف إلى اللغة العربية واستغلالها في المنظومة الفكرية والعلمية، وتوظيفها للصالح العام في المجتمع والاقتصاد وحتى البلاط، ويبدو أن هذه الحركة الواسعة وقعت على عدة مراحل؛ ففي بدايتها لم تتعد الجهود الفردية خاصة على عهد الأمويين وعلى خالد بن يزيد بن معاوية (ت85هـ/704م)، ثم اتسعت بعد مرحلة الفتوحات والاستقرار الذي عرفته دولة الإسلام خلال العصر العباسي، والانفتاح على مختلف الشعوب خاصة التي انضمت إلى رقعة العالم الإسلامي. وقد عرفت عصرها الذهبي على عهد أبو جعفر المنصور ثم هارون الرشيد ووصلت إلى ذروتها على عهد المأمون وبيت الحكمة، إن الحديث يطول عن هذه الحركة والهدف مرتبط بإبراز التطور الفكري الذي عرفه النشاط العلمي عن طريق رافد اساسي وهو الترجمة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - للتوسع حول موضوع الترجمة والتفصيل فيه ينظر: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص289-306/ إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2017م، ص161-174.

ثم أخذت هذه العلوم في النمو والتطور ولم تقف عند ما أخذته عن علوم الشعوب الأخرى، وإنما برزت الأفكار النظرية والتجارب العلمية، واتسعت الحركة العلمية من حيث المجال الجغرافي وعدد العلماء ورحلاتهم ومؤلفاتهم وافتكت الحضارة الإسلامية كرسي العلم خاصة من القرن 2 إلى 6هـ/8-12م<sup>1</sup>، وقد طالت حركة العلوم والابتكارات مختلف المجالات والعلوم وما نريد الحديث عنه هنا هو المصادر العلمية أو مؤلفات العلوم العقلية التي ألفها هؤلاء وبقيت شاهدا على عصرهم وفكرهم ونبوغهم في ميادين علمية متعددة.

وبالرغم من أننا تحدثنا عن دور كتب الطبقات والسير والتراجم في معرفة العلماء وسييرهم ومؤلفاتهم وإنتاجهم العلمي وميادين تخصصاتهم ومدن شهرتهم وغيرها من المعلومات حول نشاط العلماء، إلا أنها لا تبرز لنا المستوى العلمي الذي يمكن من خلاله قياس وإدراك ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في هذا المجال.

### أهميتها في كتابة التاريخ:

رغم الطابع العلمي الذي ميز مثل هذه المصادر إلا أن المؤرخ يمكن الاستفادة منها من حيث:

- "لا ينبغي أن نهمّل المؤلفات العلمية لأنها ضرورة علمية لمؤرخ العلوم، لا لأنها قد تحتوي على إشارات عرضية أو قصص ذات مغزى تاريخي، وإنما لأنها كتبت في الغالب لتلبي احتياجات مهنة معينة، ومن ثم فهي تعطي عنها تفصيلات دقيقة مثل المؤلفات الرياضية للتجار أو موظفي الضرائب والمساحين، والمؤلفات الخاصة بالزراعة أو الحلى، وكتب الأقرباذين، وحتى كتب التنجيم التي تتنبأ بالأسعار والأحداث بعد وقوعها أحيانا<sup>2</sup>، وبذلك يمكن الاستفادة منها في المجال

<sup>1</sup> - لا يمكن حصر المؤلفات التي اهتمت بتاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، للاطلاع على دور العرب والمسلمين فيها ينظر: طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ج1، ص306-469/ إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص175-264.

<sup>2</sup> - كلود كاين وجون سوفاجيه، دراسة مصادر التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص82-83.



- الاقتصادي من خلال إدراك أن هناك تطورا كبيرا في العصور الإسلامية فقد كانت تتم وفقا لحسابات دقيقة ولم تكن عشوائية.
- ومن "...طبيعي أن تكون المؤلفات ذات الطبيعة الفلسفية هي المادة الأولية للتاريخ الثقافي..."<sup>1</sup> خاصة أن العقل والمنطق لهما أثر على مختلف العلوم والذهنيات ولا يمكن إدراك ذلك دون قراءة مؤلفات الفلسفة ورأي العامة فيها وموقف النخبة منها.
- معرفة المستوى العلمي الذي كان سائدا آنذاك، بدراسة النظريات واستخراج الاكتشافات والإضافة العلمية التي قدموها على ما وصلهم من الحضارات السابقة.
- معرفة المرتكزات العلمية التي يعتمد عليها العلماء ومرجعياتهم في مجال تخصصاتهم.
- تقدير أهمية العلوم وتعامل العامة والنخبة والسلطة معها من خلال إحصاء عدد المؤلفات ومعرفة كمها ونوعها ومواضيعها ومدى انتشارها وتناولها من طرف أهل الاختصاص.
- مع أن هناك صعوبات منهجية تصادف الباحث أو الطالب الذي يتعامل معها منها:
- صعوبة المصطلحات واختلافها من عصر إلى عصر آخر.
- ضرورة التخصص حتى يتمكن الباحث من اكتشاف الحقائق دون الوقوع في الأخطاء العلمية والتاريخية.
- ضرورة قراءة النظريات والبحث عن الآلات القديمة حتى لا تبقى الدراسات نظرية.
- الفرز بين النص الأصلي وما أضافه الناسخون والهواة بعدهم.
- "وعلى أية حال يجب على المؤرخ أن ينوع مصادره، وألا يعتمد على نوع واحد من النصوص اعتمادا كليا مهما كانت صلتها بموضوع الدراسة، فمثل هذا التنوع هو الذي يتيح له المقارنة بين وجهات النظر المختلفة واستكمال النقص الذي قد يصادفه في معلومات نوع من المصادر بالرجوع إلى الأنواع الأخرى"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - كلود كاين وجون سوفاجيه، دراسة مصادر التاريخ الإسلامي، ص 82-83.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 83.

" ولعلّ الدارس للعلوم العربية في الفترة الوسيطة لا بدّ أن يلاحظ تراكما أساسيا في العطاء والإبداع العلمي، وهو تراكم في سعته واهتماماته ونتائجه يغطّي حقولا علمية متعدّدة، إلّا أنّ حصر هذا التراكم قصد دراسته والتعرف العلمي عليه يطرح على الدارسين صعوبات شتى نختزلها في النقاط التالية<sup>1</sup>:

• **الصعوبة الأولى** تتجلى في أنّ معظم النصوص التراثية هي عبارة عن مخطوطات لم يتم تحقيقها ودراستها بعد، بل نلاحظ أنّ الدارسين للنصوص التراثية كثيرا ما تجاهلوا مساهمات وإضافات النصوص العلمية، بل تمّ تهميش نصوص أساسية كان حريا بها أن تكون في متناول الدارسين كالنصوص الرياضية والفلكية مثلا.

• **الصعوبة الثانية** ترتبط بالنص العلمي ذاته، إذ بقي مفتقرا حتى الآن للآليات المعرفية الخاصة، التي ستمكّن من تحليله قصد استقصاء خصائصه من الناحية المنهجية والنظرية، وهذا يعود أساسا إلى أنّ معظم الطّروحات التي اقتحمت مجال الدراسات الاستمولوجية لم تأبه بالقيمة التراثية للنصّ العلمي، أو اعتبرته على هامش النصوص الأساسية الأخرى للتراث، ولهذا كثيرا ما تمّ اقتحام حقل الدراسات التراثية من زاوية الخطابات الفلسفية أو اللغوية أو الفقهية، وتمّ تحديد منظور اختزالي للتراث لا يبرّر إشكالية التّأويل خاصة على مستوى الدلالة والمعنى.

• **الصعوبة الثالثة** وضعها الاستشرف العلمي الذين اعتبر بعضهم العلوم العربية على هامش التاريخ الكلاسيكي، وشرعوا في إبراز أهمية المؤثر اليوناني، بل والذهاب ببعضهم إلى اعتباره المؤثر الوحيد الذي كانت له الفعالية المطلقة.

<sup>1</sup> - نصيرة عزرودي، مطبوعة تاريخ العلوم في الغرب الإسلامي، مطبوعة مقدمة لطلبة سنة أولى ماستر تخصص "تاريخ الغرب الإسلامي"، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، للسنة الجامعية 2017/2018م، ص6-7.

## الخاتمة:

من خلال ما تقدم نخلص إلى النتائج التالية:

- 1- لا يمكن للطلاب أن يدرس التاريخ دون الاطلاع على المصادر والتعرف على أنواعها وأساليبها وأهميتها في كتابة التاريخ أو إعادة كتابته.
- 2- غير أن هذا الأمر لن يحصل ما لم يتم بدراسة المصادر والوقوف على طبيعتها وطرق الاقتباس منها، وكيفية توظيف نصوصها في مجالات الكتابة التاريخية وميادين التاريخ.
- 3- نخلص إلى نتيجة هامة هي أن الباحث أو الطالب يتوجب عليه استعمال كل ما يمكنه من تقدم المعلومة التاريخية وما يسهل له تحصيلها، ويساهم في دراسة الظاهرة التاريخية، ولا يكتفي بالمصادر التاريخية، بل لا بد له من الحصول على مصادر بديلة قد تقدم له ما لا تقدمه المصادر السياسية والإسطوغرافية عموماً.
- 4- ومع مهما كان اتجاه الطالب أو الدارس في موضوعه ومهما كانت طبيعة هذا الموضوع فلا يمكنه الاستغناء عن مصادر الحوليات والسياسة والمؤلفات ذات الطبيعة الإخبارية، فهي القلب الذي يمكننا من إضفاء التاريخية على الوقائع والظواهر التي نقوم بدراستها
- 5- القرآن والسنة مصدران محوريان لدراسة التاريخ الإسلامي والبحث فيها، فهما ركيزتا التفكير والذهنيات العامة للنخبة والعامة في الحضارة الإسلامية، وكل ميادين التأريخ فيها تتطلب الرجوع إليهما.
- 6- أفرز الاهتمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين والنخب العلمية والسياسية نوعاً أساسياً من أنواع المعرفة التاريخية وهو التراجم، وقد أضحت مصدراً يتضمن مختلف المعلومات التي تساعدنا على التأريخ للنشاط العلمي والديني وحتى إشارات سياسية واجتماعية تساهم في إثراء الكتابة التاريخية عن الشعوب الإسلامية.

- 7- مصادر الرحلة والجغرافية ومعاجم البلدان نموذج لاندماج الاسطوغرافيا والمعلومات التاريخية مع المعطيات الجغرافية، وهو ما يتوافق مع تحقيق أهم شرط من شروط الرواية اوهي عنصر المكان.
- 8- مصادر الفقه والأحكام السلطانية والحسبة لها أهمية واسعة في الوقوف على الوقائع والظواهر التاريخية، من خلال تناولها من طرف الفقهاء والعلماء ومناقشتهم للمسائل والقضايا المختلفة التي تحدث في عصرهم، وهو ما يشكل مادة هامة بإمكان الدارس عموما أن يستفيد منها، وتعتبر قضايا المجتمع والاقتصاد والعمران من أكثر الميادين التي تستفيد من القضايا التي تطرحها هذه الكتب.
- 9- عرفت الحضارة الإسلامية بضخامة إنتاجها الأدبي، وثراء تراثها اللغوي فقد وصلتنا مصادر متنوعة من شعر ونثر وقصص وغيرها، عبرت عن تفاعل الشعراء والأدباء مع عصرهم ومع ما انتشر به من ظواهر صحية أو غير صحية أخلاقية أو غير ذلك، مما يشكل صورة تقريبية عن مجتمعات تلك الفترات، لكن تبقى هنا عملية النقد ضرورية لغرلة ما ارتبط بالواقع فعلا وما اتصل بالخيال.
- 10- خلفت الحضارة الإسلامية إنتاجا هاما في مختلف ميادين العلوم العقلية، وهي مصادر رغم طابعها العلمي البحت وأحيانا المجرد إلا أنها توقفنا على الاستكشافات والمستوى العلمي الذي وصل إليه علماء المسلمين، ورغم صعوبة التعامل معها إلا أن الدارس لا يمكنه أن يستغني عنها في التأريخ للنشاط العلمي، خاصة إذا تمكن من توظيف نصوص أخرى للمقارنة والفهم ووضع المسائل العلمية المكتشفة آنذاك في إطارها التاريخي.

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

أ- المصادر:

1- ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م): **تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية 1417هـ/1997م.

2- ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن (ت 808هـ / 1406م): **لمقدمة**، بيروت: دار الفكر، 1422هـ/2002م.

3- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر(دت)، 1م.

4- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي (ت 751هـ / 1350م): **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1428هـ.

5- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت 711هـ/1311م): **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف (دت).

6- الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت 711هـ/1311م): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: دار الكتب العلمية 1409هـ/1988م.

7- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م): **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية 2003م / 1424م، ج1.

- 8- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م)، **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر 1417هـ/1996م، ج1.
- 9- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ/943م)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة: شركة الأمل للطباعة والنشر 2004م.
- 10- الخطاب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان المغربي (ت 954هـ/1547م): **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**، ط3، بيروت: دار الفكر 1412هـ/1992م.
- 11- الخزاعي، بن محمد (أبو علي الحسن) ، **مختصر تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، إعداد أحمد مبارك البغدادى، الكويت: مكتبة السندس 1410هـ/1990م.
- 12- السخاوي: شمس الدين ، محمد بن عبد الرحمان بن محمد (ت 902هـ/1496م)، **الإعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت: دار الرسالة 1407هـ/1986م.
- 13- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م)، **الأنساب**، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (دب): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر (دت).
- 14- سليمان التاجر السيرافي (ت ق 3هـ/9م): **عجائب الدنيا وقياس البلدان**، دراسة وتحقيق سيف شاهين المريخي، منشورات مركز زايد للتراث والتاريخ (دت).
- 15- الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف (دت).
- 16- الصديقي، صلاح الدين خليل (ت 764هـ/1362م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، بيروت: مكتبة إحياء التراث العربي 1420هـ/2000م.

17- الغرناطي، أبو حامد (ت 565هـ/1170م): رحلة، تحقيق كمال بولعسل، قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر 2011م.

18 - الفاسي، أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن(1096 هـ / 1685م): أرحوزة في علم الحسبة، تحقيق محمد فرقاني، قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر 2014م.

19- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 622هـ/1225م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، (دت).

20- الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب(ت 622هـ/1225م): جمهرة أنساب العرب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب، دار النهضة العربية 1407هـ/1986م.

21- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت622هـ/1225م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق نبيل عبد الرحمن يجاوي، بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، (دت).

22- المجموع المذهب في أجوبة الإمامين ابن وهب(ت197هـ) وأشهب (ت204هـ)، جمع وتوثيق وتقديم حميد لحر، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1430هـ/2009م.

23- النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق البغدادي المعروف بالوراق(ت380هـ/990م): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.

24- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1401هـ/1981م، ج10.

ب/-المراجع:

- 1- أبو عُبيّة (طه عبد المقصور عبد الحميد)، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، بيروت: دار الكتب العلمية 1424هـ/2004م، ج1.
- 2- أبو فارس (عبد القادر)، القاضي أبو يعلى الفراء وكتابه الأحكام السلطانية، بيروت: مؤسسة الرسالة (دت).
- 3- إسماعيل (محمود)، المهمشون في التاريخ الإسلامي، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع 2004م.
- 4- أمخزون (محمد)، منهج دراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة: دار السلام 1432هـ-2011م.
- 5- أمين (أحمد)، ضحى الإسلام، القاهرة: مكتبة الأسرة 1997م، ج1.
- 6- الباشا (حسن)، مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة: دار النهضة العربية 1990م.
- 7- البدري (سامي)، "منهج دراسة مصادر التاريخ الإسلامي"، مجلة الفكر الإسلامي، 1421هـ/2000م، (23)، ص 197-233.
- 8- بن حمادي (عمر)، "الرحلة عند المسلمون في العصور الوسطى: أصنافها وأهميتها"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، 2010م (139)، ص 73-95.
- 9- بن سعيد (لطيفة)، "البعث الإيماني للعمارة والتعمير"، المؤتمر الدولي الرابع: العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر والنهضة الأوروبية، 8-9-10 جوان 2014م، سلسلة منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلاقات الخارجية والتعاون والتبادل والتنشيط والاتصال والتظاهرات العلمية، 2015م، ص 68-76.
- 10- بن سليمان (فريد)، مدخل إلى دراسة التاريخ، تونس: مركز النشر الجامعي 2000م.
- 11- بني عطا (محمد جميل محمود)، كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من القرن (5-8هـ/11-14م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2008م.
- 12- بوتشيش (إبراهيم القادري)، خطاب العدالة في كتب الآداب السلطانية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2014م.



- 13- بيترسن (إيرلينغ ليدوك)، علي ومعاوية في الكتابة التاريخية المبكرة، ترجمة عبد الجبار ناجي، قم: مطبعة الاعتماد 1429هـ/2008م.
- 14- الترحيني (محمد أحمد)، المؤرخون والتاريخ عند العرب، بيروت: دار الكتب العلمية (دت).
- 15- جابر (فاضل)، "مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها"، أهل البيت، 1427هـ/2006م (4)، ص 96-117.
- 16- الجابري (محمد عابد)، تكوين العقل العربي، ط10، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2009م.
- 17- جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1981م.
- 18- الجوادي (محمد)، "كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد: دراسة في الأسانيد"، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، أشغال الملتقى الدولي السادس (28-30/04/2010م)، تونس 2011م، ص 51-104.
- 19- جوتشلك (لويس)، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكم، بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر 1966م.
- 20- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، "كتب التاريخ المحلي والرحالة مصدر لدراسة عمارة الأسبلة الحجازية في مكة المكرمة والمدينة المنورة"، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، مارس 2006م (26)، ص 8-115.
- 21- حسن محمد (نبيلة)، في المكتبة التاريخية ومنهج البحث، القاهرة: دار المعرفة الجامعية 2005م.
- 22- حمادة (محمد ماهر)، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية 40-922هـ/661-1516م، بيروت: مؤسسة الرسالة 1408هـ/1988م.

- 23- حمزة إسماعيل الحداد (محمد)، النقوش الآثرية مصدرا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق 2002م.
- 24- حميدة (عبد الرحمن)، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر 1416هـ/1995م.
- 25- حناوي (محمد)، "كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، مكناس: جامعة المولى إسماعيل 1993م، ص 57-72.
- 26- حواش (محمد)، "ملاحظات واجتهادات حول مسألة التحقيق في التاريخ العربي"، التحقيق التقليد-القطيعة-السيرورة، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (جامعة محمد الخامس) 1997م، ص 101-123.
- 27- خليل (محمد رشاد)، المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، القاهرة: دار المنار 1984م.
- 28- الخلف (عبد الله بن سالم)، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، المدينة المنورة: مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، 1422هـ/2001م.
- 29- داود (نبيلة عبد المنعم)، "فن التراجم في التاريخ العربي الإسلامي"، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد 2011م (4)، ص 27-48.
- 30- دغفوس(راضي)، "مصادر البلاذري في كتاب أنساب الأشراف: بعض النماذج من الإخباريين"، الكتابة التاريخية في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، أشغال الملتقى الدولي السادس (28-30/04/2010م)، تونس 2011م، ص 13-34.
- 31- رشدي راشد، "العلوم الرياضية المتعلقة بكوكب الأرض"، أبحاث المؤتمر الخامس: علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، 24-25/11/1999م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن: 1426هـ/2005م، ص 7-29.

- 32- رامبولا (ماري لين)، دليل الكتابة التاريخية، ترجمة تركي بن فهد آل سعود ومحمد بن عبد الله الفريح، الرياض: دار الملك عبد العزيز 1434هـ.
- 33- رمضان أحمد (أحمد)، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة: دار البيان العربي دت، أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة: دار البيان العربي (دت).
- 34- روزنتال (فرانز)، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح محمد العلي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ/1983م.
- 35- الزحيلي (وهبة)، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى في التطبيقات المعاصرة، بيروت: دار الكتاب 2000م.
- 36- زيدان (عبد الكريم)، المدخل إلى الشريعة الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون 1425هـ/2005م.
- 37- سالم (السيد عبد العزيز)، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2010م.
- 38- سامعي (إسماعيل)، علم التاريخ عند العرب والمسلمين دراسة في المنهاج والمصادر، قسنطينة: المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية (5) 2013-2014م.
- 39- -----، معالم الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2017م.
- 40- السفياي (إدريس)، الوثائق والأحكام بالمغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، الرباط: مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، دار الأمان، 1433هـ/2012م، ج1.
- 41- سمارة (احسان)، النظام السياسي في الإسلام: نظام الخلافة الراشدة"، دمشق: دار يافا العلمية، (د ت).

- 42- السلمي (محمد بن شامل)، منهجية كتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر 1408هـ/1988م.
- 43- السلومي (عبد العزيز بن سليمان بن ناصر)، الواقي وكتابه المغازي منهجه ومصادره، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية 1425هـ/2004م، ج2.
- 44- شاعر (مصطفى)، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط3، بيروت: دار العلم للملايين 1983م، ج1.
- 45- شيوخ (إبراهيم)، "أنظار في بعض مشكلات النص الجغرافي التراثي"، أبحاث المؤتمر الخامس: علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، 24-25/11/1999م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن: 1426هـ/2005م، ص 76-106.
- 46- شرحيلي (محمد بن حسن)، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1421هـ/2000م.
- 47- الصغير (عبد المجيد)، "ثقافة الغرب الإسلامي بين إشكاليات التحقيق والخصوصية والقطيعة"، التحقيق التقليد-القطيعة-السيرورة، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (جامعة محمد الخامس) 1997م، ص 125-141.
- 48- طه (عبد الواحد ذنون)، أصول البحث التاريخي، لبنان: المدار الإسلامي 2004م.
- 49- عبد الحميد (صائب)، علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدوينها ونقدا وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام، ط2، بيروت: مركز الغدير 1429هـ/2008م.
- 50- عبد الغني حسن (محمد)، التراجم والسير، ط3، القاهرة: دار المعارف (دت).
- 51- عبد الفتاح (صفاء حافظ)، البلاذري ومنهجه في كتاب فتوح البلدان، القاهرة: (ددن) 1991م.

- 52- عثمان (حسن)، منهج البحث التاريخي، ط8، القاهرة: دار المعارف 2000م.
- 53- عثمان (محمد فتحي)، المدخل إلى التاريخ الإسلامي، ط2، بيروت: دار النفائس، 1412هـ/1992م.
- 54- العروي (عبد الله)، مفهوم التاريخ المفاهيم والأصول، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997م.
- 55- العزاوي (عبد الرحمن الحسين)، التاريخ والمؤرخون في العراق 334-447هـ/945-1055م، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1993م.
- 56- العمري (أكرم ضياء)، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، بيروت: دار القلم.
- 57- عميرة (عبد الرحمان)، أضواء على البحث والمصادر، ط6، بيروت: دار الجيل (دت).
- 58- عويس (عبد الحليم)، فلسفة التاريخ نحو تفسير إسلامي للسنن الكونية والنواميس الاجتماعية، القاهرة: دار الصحوة 1432هـ/2011م.
- 59- النعيمي (مروان فياض مرعي)، " مصادر كتابة السيرة النبوية (دراسة نقدية)"، مجلة التربية والعلم، 2012م (م 19) (ع5)، ص250-274.
- 60- قاسم (قاسم عبده)، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م.
- 61- كاشف (سيدة إسماعيل)، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت: دار الرائد العربي، 1403هـ/1983م.
- 62- كراتشكوفسكي (إغناطيوس يوليانونفتش)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
- 63- كاين (كلود)، سوفاجيه (جان)، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1998م.

- 64- لطيف (محمد العادل)، "كتب الطبقات: نشأتها وأصنافها إلى أواخر القرن الرابع للهجرة ودورها في البحث التاريخي"، نشر ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول: النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، جامعة منوبة، تونس، 2012م.
- 65- - المازوني (محمد)، من قضايا البحث التاريخي مقدمات أولية، كراسة جامعية.
- 66- - المرعشلي (يوسف بن عبد الرحمان)، مصادر الدراسات الإسلامية ونظام المكتبات والمعلومات، (الجزء الأول: الكتاب والسنة)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1426هـ/2006م، ج1.
- 67- مصطفى (محمد)، زيادة نقلا عن تصدير كتاب: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام بنشره السيد الباز العريني بإشراف محمد مصطفى زيادة، القاهرة: اللجنة القومية للنشر والترجمة 1365هـ/1946م.
- 68- المرعشلي (يوسف بن عبد الرحمان)، مصادر الدراسات الإسلامية ونظام المكتبات والمعلومات، (الجزء الأول: الكتاب والسنة)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1426هـ/2006م، ج1.
- 69- معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا: مطابع سلا 1425هـ/2004م، م19.
- 70- منصور (علي علي)، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ليبيا: دار الفتح 1390هـ/1970م.
- 71- نوري (نوفل محمد)، "الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الأسطورة والحقيقة دراسة تاريخية"، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية الموصل، 2011م مج(11)، (ع1)، ص250-266.

72- هورفنتس (يوسف)، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1424هـ/2001م.

73- الوافي (محمد عبد الكريم)، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، ط3، بنغازي: منشورات قان يونس 2008م.

## فهرس الموضوعات

2	محاو الماده: .....
5	مقدمة: .....
9	أ- مدخل إلى دراسة مصادر التاريخ الإسلامي: .....
9	1- مفهوم المصدر: .....
9	- لغة: .....
9	- اصطلاحا: .....
14	ب- القرآن والسنة مصدران محوريان لدراسة التاريخ الإسلامي .....
14	1- القرآن: .....
16	2- الحديث النبوي الشريف: .....
20	ج- المصادر التاريخية والوثائق الرسمية: .....
20	1- كتب السير والمغازي: .....
24	2- كتب الفتوح: .....
27	3- كتب الأنساب: .....
30	4- كتب الحوليات والمؤلفات الإخبارية .....
37	5- كتب الطبقات والتراجم: .....
47	6- الوثائق الرسمية: .....
52	د- المصادر المادية (الآثار والنقوش والمسكوكات): .....
57	هـ- مصادر الرحلة والجغرافية ومعاجم البلدان .....
57	1- مفهوم الرحلة والجغرافيا: .....
57	1-أ- الرحلة: .....
58	1-ب- الجغرافيا: .....



.....	فهرس الموضوعات
59	2/- نشأة وتطور الفكر الجغرافي في الحضارة الإسلامية: .....
62	3/- أهمية مؤلفات الرحلة والمعجم الجغرافية في دراسة التاريخ الإسلامي: .....
71	و/- مصادر الفقه والأحكام.....
71	1/- كتب الفتاوى والفقه العام: .....
71	1/1- مفهوم الفقه: .....
72	1/2- مفهوم الفتوى والقضاء: .....
73	1/3- أهميتها في الكتابة التاريخية: .....
77	2/- كتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية: .....
78	1/2- الأحكام السلطانية: .....
78	2/2- مفهوم السياسة الشرعية: .....
81	2/3- أهميتها في الكتابة التاريخية: .....
83	3/- مؤلفات الحسبة .....
83	1/3- مفهوم الحسبة: .....
85	2/3- أهميتها في الكتابة التاريخية: .....
88	ز/- المصادر الأدبية بين الخيال وميزان النقد التاريخي: .....
88	1- الأدب وآثاره في مجتمعات المشرق الإسلامي: .....
90	2- أهمية المصادر الأدبية في الكتابة التاريخية: .....
95	ح/- مصادر العلوم العقلية وأهميتها في التأريخ للنشاط العلمي والفكري في المجتمعات المشرقية: ..
99	الخاتمة: .....
101	قائمة المصادر والمراجع .....
112	فهرس الموضوعات .....